مجلة معهد الإمام الشاطبي

موارد الاتِّبـــاع في القرآن الكريم

إعداد

د. فايز بن حبيب بن دخيل الترجمي

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن -كلية القرآن الكريم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

• من مواليد عام ١٣٨٣هـ بالمدينة المنورة.

• نال شـهادة الماجستير من قسم التفسـير وعلوم القرآن، بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٥هـ، بأطروحته: "مرويات ابن مردويه في التفسير: جمعاً ودراسة من أول سورة يس إلى نهاية سورة الحديد". كما نال شهادة الدكتوراه منه عـام ١٤٢٠هـ، بأطروحته: " اختيارات الإمام الشـوكاني في التفسـير من خلال كتابه فتح القدير: عرضاً ودراسـة من أول سورة الكهف إلى نهاية سورة الناس".

• مـن أعماله المنشـورة: "الاسـتقامة في القرآن الكريـم"، "ما نطق به الكتـاب فيما ينال وجـوه الظالمين من العذاب"، "إطلاقـات الوجه في القرآن الكريم "، "حال المؤمن عند السراء كما يصورها القرآن الكريم".

• البريد الشبكي: fh1483@gmail.com

الملخص

يهدف البحث إلى بيان الموارد التي أمر الله تعالى في القرآن الكريم بأن ننهل منها، وأن نتبع أمره فيها، وأن نحكمها في حياتنا القولية والفعلية والاعتقادية، وأن تكون مصدرًا لحياتنا التشريعية، وكاشفًا مجليًا للاتباع الحقيقي لأمر الله تبارك وتعالى من الاتباع المزيف المدعى، الذي يَرِدُ موارد الطائفية والهوى. ففي البحث ردٌ ضمنيٌ على من يزعم أن ثمَّ مصدرًا للتشريع خلاف الكتاب والسنة -كما تزعم الرافضة أخزاهم الله-.

كما يهدف البحث إلى بيان أن الأصل في الديانات السماوية هو الاتباع لوحي السماء، ومن لم يتبع ابتدع، وبيان أن موارد الاتباع في القرآن الكريم جاءت منهجًا مطردًا لا يعتريه خلل، ومدعومًا بالقدوة والأسوة من صفوة الناس الذين اصطفاهم الله تعالى، وهم الأنبياء والرسل وممن هم دونهم من أتباعهم، حتى لا يظن ظان أنه ضرب من الخيال لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع.

وقد سلطت البحث على الآيات التي جاء الأمر بالاتباع فيها مقترنًا بفعل (تَبِعَ أو اِتَّبَعَ) أو أحد مشتقاتها، مع بيان الثمار التي أرشدت تلك الآيات الكريمات إلى جنيها عند تحقيق ذلكم الاتباع.

الكلمات المفتاحية: موارد، الاتباع، القرآن الكريم، مصدر، التشريع.

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١][(١)]. أما بعد:

فإن صلاح البشرية في دنياها وأخراها لا يقوم ولا يتحقق إلا بالتشريعات السماوية، التي جاءت بجلب المصالح ودفع المفاسد، والحفاظ على الضرورات الخمس التي لا استقرار لحياة الإنسان بدونها، والتشريعات السماوية ركنها الركين وأُسُّها المتين الاتِّبَاع؛ فهي قائمةٌ عليه، ولا بد أن يكون هذا الاتِّبَاع مقننًا ومنضبطًا بتعاليمَ وقوانينَ وضعها من أحاط علمًا بالبشرية وأحوالها، وما يطرأ عليها من تغير وما يستجد لها من أحوال عبر تعاقب الزمان، وهذا وصف لا يمكن أن يتصف به سوى الله ﷻ؛ إذًا فسعادة البشرية وصلاح أمر دنياها وأخراها قائم على اتِّبَاع الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى؛ رحمة لهم لحاجتهم إليها؛ لأن العقل البشري قاصر محدود، لا يدرك تفاصيل النفع والضر-وإن كان يدرك الفرق بينهما إجمالًا- وتغلب عليه الشهوات، وتلعب به الأهواء؛ فلو وكلت البشرية إلى عقولها القاصرة؛

(١) هذه خطبة الحاجة. رواها الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٠٢) والترمذي في سننه (٣/ ٤١٣) برقم (١١٠٥) وأبو داوود في سننه (٢/ ٢٣٨، ٢٣٩) برقم (٢١١٨) والنسائي في سننه (٦/ ٨٩) برقم (٣٢٧٧) وابن ماجه في سننه (١/ ٦٠٩) برقم (١٨٩٢) وصححها الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣١٩) برقم (١٥٣٥).

لضلت وتاهت، فاقتضت حكمة الله إنزال هذه الكتب لما فيها من دلالة البشرية على الأحكام العادلة والوصايا النافعة والأوامر والنواهي الكفيلة بصلاحها؛ فإنها هدى الله للبشر الذين قال لهم حين أهبط أباهم إلى الأرض: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] ، وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]، وقد انحصرت الكتب السابقة وتلاشت في القرآن الذي حواها وما فيها من خير، بل جاء فيه من الخير والرحمة والتخفيف ما لم يأت فيها؛ فكان لزامًا على البشرية الصدور عن الموارد التي يأمر باتِّبَاعها؛ لذا جاء هذا البحث الذي أحببت أن أسهم به في بيان تلك الموارد التي يأمر القرآن باتِّبَاعها، وقد جعلت الحديث فيه مقصور على الاتِّبَاع المحمود؛ خشية للإطالة، ونظرًا لكثرة موارد الاتباع المذموم، وقد وسمته بـ (**مَوَارِدُ الاتِّبَاعِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ**) (١)، ولعل الله أن يهيئ دراسةً مستقلةً لموارد الاتباع المذموم.

---

(١) وقد آثرت أن يكون بعنوان «موارد الاتِّبَاع فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْم»، دون مصادر الاتِّبَاع ... لِلأُمور التالية:

أولًا: لأنه بالنظر إلى دلالة لفظة (الوِرْد) اللغوية نجد أن أول معنى بدأتْ به هو: الماءُ الذي يُورَد، فالمورد هو المنهل؛ وهو: الماء الذي يشرب منه الناسُ وتشرب منه دوابهم، ثم يصدرون عنه، والجمع (موارد)؛ فالمورد متقدم على المصدر من حيث الأصل كتقدم الورد على الصدر.

ثانيًا: لأن الورد ناشئ عن حاجة، وفيه معنى الطلب، فنجد المحتاج للماء يبحث عن أعذبه وأنقاه؛ لأنه هو الأكمل في سدِّ حاجته وقطع عطشه؛ ولذا ينبغي ألا تعميه حاجته عن حسن الانتقاء؛ فلأن يطول عطشُه حتى يجد حسنَ المورد، خير له من تعجل يورده موارد العطب، وحاجة العبد إلى معرفة موارد الهداية التى يسعد ويحيى بها في الدنيا والآخرة، سعادةً وحياةً حقيقيةً؛ جسدًا وروحًا، أمسُّ من حاجته إلى ما يحيا به في هذه الدنيا جسدًا، ويشقى به روحًا، وفي الآخرة يشقى جسدًا وروحًا؛ لذا على العبد أن يجتهد في بلوغ أنقى الموارد وأصفاها، والصدر تبع لذلك غالبًا.

ثالثًا: أن المورد أعم وأشمل من المصدر؛ فالصدور يكون بعد تمام الحاجة على أكمل ما يكون التمام، وهذا أمر مبناه على الورود أولًا؛ لذا فإنَّا نرى حاجة الناس تضعف تجاه موردٍ ما، بقدر ما ينقصه من أوصاف الكمال، إلا إنْ أعوزهم بلوغُ ما هو فوقه؛ إذًا فالمورد أعم وأشمل مما يصدر به الوارد؛ فالمورد هو الأصل الذي تجب العناية والمبالغة في الحرص على الوصول إلى أصفاه وأنقاه، وفي عالم الحس نشاهد الناس يتنافسون على بلوغ أعذب الموارد من أجل حياة أجسادهم بريِّها بالماء الزُلالِ، فينبغي أن يكونوا أشدَّ حرصا

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث لكونه يسهم في الأمور التالية:

١- بيان موارد الاتِّبَاع ومناهل التشريع التي أمر الله تعالى في القرآن الكريم بأن ننهل منها وأن نتبع أمره فيها والتي أوجب على المؤمنين أن يتخذوها موردًا ومنهلًا يصدرون عنها في تعاليمهم الشرعية، والتعبدية؛ سواءٌ الاعتقادية منها أو العملية، والتي يجب عليهم أن يرجعوا ويتحاكموا إليها عند حصول الخلاف والتنازع؛ إذ لا سبيل لاجتماع كلمتهم، وقوة شوكتهم وتوحيد صفهم إلا بذلك، وهو الأمر الذي يسدُّ سبل الشيطان التي تؤول بهم إلى الفرقة والتناحر والشقاق في هذه الدنيا، وإلى نار جهنم في الآخرة والعياذ بالله.

٢- تمييزُ الاتِّبَاع الحقيقي الذي أمر الله تبارك وتعالى به من الاتِّبَاع المزيف المدعى، الذي يَرِدُ موارد الطائفية والهوى، ففي البحث ردٌ ضمنيٌ على من يزعم أنَّ ثمَّة مصدرًا للتشريع خلاف ما أمر الله به في كتابه، كما تزعم الرافضة أخزاهم الله.

٣- بيان أن الأصل في الديانات السماوية هو اتِّبَاع وحي السماء، وإلا فإن الابتداع واتِّبَاع الهوى والشيطان متحتم.

على بلوغ الموارد التي نِيْطَتْ بها حياةُ قلوبهم وأرواحهم؛ فقيمة العبد بروحه وقلبه لا بجسده، وقديما قالوا : مَن لم يعرف الموارد أعيته المصادر، كما عزاه ابن حمدون في التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٣) لمحمد بن على بن موسى الرضا وتمامه أنه قال: من هجر المداراة قارنه المكروه، ومن لم يعرف الموارد أعيته المصادر.

رابعًا: لأن الموارد كثيرة، والورود متحتم؛ لكن ما كل من ورد صحَّ أن يقال عنه صدر؛ وإنما يقال ذلك لمن أحسن انتقاء المورد، وصحَّ وصوله إليه؛ ومن لم يرد المورد العذب ورد المورد الكدر؛ فمن لم يرد الموارد التى أرشد إليها القرآن- وهى أعذب الموارد، وأنفعها للعبد حالًا ومآلًا- ورد الموارد التى يستزلُّ إليها الشيطان؛ فتحققت له الخيبة والخسران، نعوذ بالله من الخذلان.

خامسًا: وقد يقال ما كل من ورد القرآن صدر عن الفهم الحق لما فيه؛ فأقول الأصل أن يرد العبد المورد الحق فإن صُرفَ عنه أو حيل بينه وبينه فلآفةٍ في العبد نفسه، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]، فكم من مصروفٍ عن الانتفاع بالقرآن؛ لعلةٍ في نفسه، وحكمةٍ اقتضاها عدل الباري جلَّ في علاه.

٤- بيان أن الموارد التي أمر الله باتِّبَاعها في القرآن الكريم جاءت منهجًا مطردًا لا يعتريه خلل، وإن جاءت بمسميات مختلفة؛ لكنها تؤول إلى اتِّبَاع شيء واحد؛ وهو: اتِّبَاع منهج الكتاب والسنة، والاقتداء والتأسي بمن اتفقت عليهم البشرية جمعاء أنهم موضع القدوة والأسوة وهم: صفوة الله من خلقه؛ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذا التأسي بخيار أتباعِهم وأصحابهم من عباد الله المؤمنين، حتى لا يظن ظان أنه ضرب من الخيال لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع.

٥- بيان الثمار العظيمة التي يجنيها المؤمن والمترتبة على الاتِّبَاع لتلك الموارد التي نص عليها القرآن، وعظيم الخسارة والضلال المتحقق لمن ابتدع ولم يتبع.

أسباب اختيار موضوع البحث:

١- أهمية هذا الموضوع ومكانته من التشريع؛ ولذا جاء التأكيد عليه في القرآن الكريم بأساليبَ وألفاظٍ مختلفة.

٢- بيان أن الأصل في دين الله وعبادته في سائر الشرائع السماوية هو الاتِّبَاع لأمر الله تعالى.

٣- ما له من صلةٍ بكتاب الله تعالى ومدارسةِ آياته والانتفاع بهديها والاقتباسِ من نورها.

٤- بيان كذب الرافضة فيما يزعمونه من وجود مصادرَ للتشريع وموارِدَ للاتِّبَاع خلاف ما أمر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ.

حدود البحث:

حصرُ الآيات الكريمات التي تتحدث عن موارد الاتِّبَاع المحمود في القرآن الكريم والتي جاء الأمر فيها صريحًا بلفظ الاتِّبَاع أو أحد مشتقاته، ثم دراستها وتحليلها وتنزيلها على جزئيات البحث، مع بيان معنى الاتِّبَاع والحاجة إليه وموارده التي أمرنا الله باتِّبَاعها، ونماذج ممن حققوا الاتِّبَاع، وختمت البحث بذكر بعض ما تجليه تلك الآيات من الثمار العظيمة المترتبة على الاتِّبَاع.

الدراساتُ السابقةُ حول موضوع البحث:

لم أجد فيما اطلعت عليه مَنْ كَتَبَ في الموضوع من الحيثية التي رمتها، وإنما هناك دراسات، ومقالات، عن الاتِّبَاع بمفهومه العام الذي يقابل الابتداع، وهي كثيرة منها:

* الاتِّبَاع. لعلاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العزِّ الحنفي.
* الاتِّبَاع: أنواعه وآثاره في بيان القرآن. لمحمد بن مصطفى السيد.
* الاتِّبَاع في القرآن الكريم. لمحمد عثمان سعيد صالح.
* الاتِّبَاع في الكتاب والسنة. لإدريس حامد محمد.
* مفهوم الاتِّبَاع والابتداع في القرآن الكريم والحديث. لياسر علي محمد علي.

وهذا البحث يغايرها من حيث كون الجهد فيه منصبًا على دراسة الآيات التي بينتْ موارد الاتِّبَاع التي أمر الله تعالى باتِّبَاعها والصدور عنها؛ سواء في المنهج أو القدوة، وهو الأمر الذي لم تتعرض له الدراسات السابقة إلا نزرًا يسيرًا.

المنهجُ المتبعُ في كتابة البحث:

سأتبع بحول الله وقوته في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي للآيات التي جاء الأمر فيها مقترنًا بفعل الاتِّبَاع أو أحد مشتقاته، وما تحدثت عنه تلك الآيات من وجوب الرجوع إلى تلك الموارد التي جعلها الله تعالى مصدرا للاتِّبَاع، وأدرسها بشيء من التحليل والتفصيل، مع التعرض بقدر ما تدعو إليه الحاجة لأضداد تلك الموارد التي نصَّ القرآن الكريم على النهي عن اتِّبَاعها، ثم أقوم بترتيبها وتقسيمها على جزئيات البحث كما هو مبين في خطته، كما سأبينُ بحول الله وقوته الثمار التي دلت تلك الآيات الكريمات على جنيها عند تحقيق ذلكم الاتِّبَاع.

كما سأقوم بحول الله وقوته بعزو ما يرد في البحث من آياتٍ إلى سورها، وتخريج الأحاديث من مصادرها، ونسبة الشعر إلى قائليه ودواوينهم، والتعريف بالغريب،

وضبط ما يحتاج إلى ضبط، مراعيًا علامات الترقيم، والله المستعان وعليه التكلان ونعوذ به من الخذلان.

وقد بذلتُ ما في وسعي على إخراجه على الصورةِ المرضية لكنه عمل بشر، النقصُ ملازمٌ له، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فما كان فيه من صواب فالفضل فيه لله وحده، وما كان فيه من زلل فمني ومن الشيطان، وحسبي أن بذلت ما في وسعي، ومن اطلع فيه على خلل من إخواني أرجو أن يرشدني إليه على هذا البريد: fh1483@gmail.com، جزاه الله خير الجزاء وله مني خالص الدعاء.

خطة البحث:

وتتكون من: مقدمةٍ، وثلاثةِ مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج، وفهارس تُقَرِّبُ محتوى البحث.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث، والدراسات السابقة فيه، والمنهج المتبع في كتابته، وخطة البحث.

المبحث الأول: مواردُ الاتِّبَاع في المنهج وفيه سبعةُ مطالب:

المطلب الأول: اتِّبَاعُ ما أنزل الله.

المطلب الثاني: اتِّبَاعُ الحق.

المطلب الثالث: اتِّبَاعُ القرآن الكريم.

المطلب الرابع: اتِّبَاعُ الوحي.

المطلب الخامس: اتِّبَاعُ صراط الله المستقيم.

المطلب السادس: اتِّبَاعُ هدى الله.

المطلب السابع: اتِّبَاعُ رضوان الله.

المبحث الثاني: مواردُ الاتِّبَاعِ في القدوة. وفيه أربعةُ مطالب:

المطلب الأول: اتِّبَاعُ الأنبياءِ والمرسلين عليهم السلام.

المطلب الثاني: اتِّبَاعُ الرسولِ ﷺ.

المطلب الثالث: اتِّبَاعُ ملةِ إبراهيم عليه السلام.

المطلب الرابع: اتِّبَاعُ المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: ثمرات الاتِّبَاعِ. وفيه اثنا عشر مطلبًا:

المطلب الأول: شهادة الله لأهل الاتِّبَاعِ بالهداية ورجاحة العقل.

المطلب الثاني: شهادة الله لأهل الاتِّبَاعِ بالفلاح.

المطلب الثالث: الهداية للسلامة وسبلها.

المطلب الرابع: الأمن من الضلالة والشقاء.

المطلب الخامس: الفوز برضوان الله تعالى.

المطلب السادس: الفوز بولاية الله ونصرته.

المطلب السابع: الأمنُ من الفرقةِ والاختلاف.

المطلب الثامن: الأمن من الخوف والحزن.

المطلب التاسع: السلامة من الابتداع.

المطلب العاشر: السلامة من اتِّبَاع الهوى.

المطلب الحادي عشر: دعاء الملائكة لهم.

المطلب الثاني عشر: بشارتهم بالمغفرة والجنة.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج.

الفهارس.

المبحث الأول

موارد الاتِّبَاع في المنهج

لقد تعددت الآياتُ القرآنية الكريمة واتفقت على الأمرِ باتِّبَاع منهجٍ واحد؛ وهو المنهج المُستمدُّ تعاليمه من وحي السماء؛ (وحي الكتاب والسنة)، ولكن تلك الآيات تنوعت في أساليبها الآمرة باتِّبَاع هذا المنهج؛ وما ذاك إلا لبيان عظم هذا الأمر ومكانته من الدين، وبيان أهميته في حياة المؤمن التعبديةِ لله تعالى؛ ليتشرب القلب ذلك بكل وسيلة وأسلوب مشروع يوصله إليه، ولتفاوت مدارك الناس ومفاهيمهم؛ فمن لم يدرك المرادَ بهذا الأسلوب أدركه بالأسلوب الآخر ومن أشكل عليه أسلوب، أو جانب منه فسره له الأسلوب الآخر؛ ولذا فإن الاختلاف بين تلك الأساليب إنما هو من قبيل اختلاف التنوع؛ الذي من شأنه أن يزيد الأمر وضوحًا وتجلية، ورسوخًا في القلوب والقناعات والمفاهيم.

وباستقراء آيات القرآن الكريم المبينة لموارد الاتِّبَاعِ في المنهج نجد أنها جاءت متنوعةً على ثمانية أساليب، بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول: اتِّبَاع ما أنزل الله:

إن الرب سبحانه وتعالى حينما خلق عباده لم يتركهم هملًا يتعايشون فيما بينهم، ويتعاملون وفق أهوائهم، أو بحسب ما يشرعه القوي للضعيف؛ بل سنَّ لهم سبحانه من القوانين والنظم ما يحقق لهم العدل، وتستقيم به حياتهم في جميع جوانبها؛ سواء الاعتقادية منها أم العملية، ويكفل لهم عيشًا آمنًا؛ فإن خالقَ الإنسان ومُوجدَه من العدم هو الأعلم بما تصلح به أموره وتستقيم به حياته؛ ولذا أمر عباده أن يتبعوا تلك التشريعات والنظم التي تكفل لهم أطيب العيش في هذه الحياة، وأحسن المآل في الأخرة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، فأمرهم ربهم وخالقهم باتِّبَاع الوحي الذي أنزله إليهم على

لسان نبيهم ﷺ؛ اتِّباعًا يستلزم موالاة الله ورسوله ﷺ، يترجم تلك الموالاةَ الالتزامُ بتلك التشريعات، لا أن يوالوا غير الله ورسوله؛ فيتبعوا ما سن ذلك الغير وشرع، وإن كان مخالفًا لحكم الله ورسوله، وهذه حال من لم ينتفع ويتذكر بمواعظ الله، وربما استمرَّ ذلك وداوم عليه حتى تحلَّ به عقوبة الله كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٥]، جاءت هذه الآية في سياقٍ يأمر الله تعالى فيه عباده الذين كثرت ذنوبهم وخطاياهم بالتوبة وعدم اليأس والقنوط من رحمته، آمرةً لهم بعد ذلك بما هو من مكملات التوبة ومتمماتها: وهو اتِّبَاع أحسن ما أنزل إليهم: وهو القرآن، وألا تكون توبتهم قولًا لا يصدقه العمل فينزل بهم العذاب من حيث لا يعلمون(١).

وقد عنّف الله سبحانه من ترك اتِّبَاع ما أنزل من الهدى، واتبع عادات الآباء والأجداد التي لا يعضدها عقل رشيد، ولم تستضئ بنور الوحي السديد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

أي إذا أُمروا باتِّبَاع القرآنِ وما فيه من الحجج الظاهرةِ والبينات الباهرةِ وأمروا بأن يجعلوه لهم إمامًا يأتمون به، وقائدًا يتبعون أحكامه، وألا يتبعوا خُطوات الشيطان وطرائقه؛ استكبروا عن الإذعان للحقّ وجنحوا للتقليد، وقالوا: بل نأتم بآبائنا فنتَّبع ما وجدناهم عليه، ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ أي: ليس لهم فهم ولا هداية!!(٢).

والهمزة هنا للتعجب من حالهم وإنكاره واستقباحِهِ، أي: أيتبعون آباءَهم حالَ كونِهم غافلين جاهلين ضالّين لا يعقلون شيئًا من دين الله وفرائضه، وأمره ونهيه،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٦٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير(٢/ ٣٤).

ولا يَهتدون لرشدٍ، فيهتدي بهم غيرهم، ويَقتدي بهم من طَلب الدين، وأراد الحق والصواب، فإنما يُتَّبَعُ صاحبُ العلم والمعرفة، أما الجاهل فلا يتبعه إلا من لا عقل له ولا تمييز[١].

وهؤلاء المُتَّبَعُون لهم إمام وسلف تبعوه في ذلك: وهو الشيطان الذي سيجر اتِّباعه إلى مرافقته في جهنم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١].

وفي مثل هذه الآيات دليل ظاهر على قبح التقليد وذم أهله[٢].

فمورد الاتِّبَاع ومنهله الصافي الذي يَشرب منه ويَعلُّ إنما هو الدليل الذي لا يعتريه خلل ولا زلل، ولا يكون ذلك إلا باتِّبَاع التشريعات السماوية (وحي الكتاب والسنة)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

المطلب الثاني: اتِّبَاع الحق:

إن الحقَ وصف لازم لما أنزل الله تبارك وتعالى، منافٍ للهوى كل المنافاة، فمن لم يتبع الحق اتبع الهوى والباطل، وفي اتِّبَاع الهوى من الشر والسوء ما تفسد به السموات والأرض ومن فيهن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وكفى بهذه الآية زاجرًا عن اتِّبَاع الهوى، ودليلًا على أن الحق في اتِّبَاع ما أنزل الله من الذكر الحكيم، الذي به تصلح الأعمال والأحوال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ . وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٤٤)، وأبي السعود (١/ ١٨٨، ١٨٩).

(٢) انظر: تفسير الشوكاني (٤/ ٢٣٤).

رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [محمد:١-٣]. فهذا شأن من أصلح الله حاله وتجاوز عن الصغائر من سيئ أعماله؛ اتِّبَاع ما أنزل الله من الحق، ولكن إنما يبصر هذا الحق على حقيقته من استنارت بصائرهم بنور العلم، ووعت عقولهم هداه، وامتثلت جوارحهم أوامره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الرعد: ١٩] ، فالحق الذي لا يتطرق إليه الباطل بوجه ما هو ما دلَّ عليه وحي ربِ البرية، وتواطأت على تصديقه الكتب السماوية؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣١]، والذي لا ينبغي أن يعتري العقلاء فيه مرية ولا شك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٧]، فهاهم عقلاء الجن لما سمعوه من رسول الله ﷺ آمنوا به وصدقوه وانقلبوا يدعون قومهم إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣١].

وقد جعل الله الحق ومن يهدي إليه موردًا للاتِّبَاع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣٤ – ٣٦].

وهذا إبطال لدعوى الشراكة لله تعالى من الأصنام والأنداد وغيرهم؛ حيث بين سبحانه عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتِّبَاعها واتخاذها آلهة مع الله؛

فلا قدرة لها على ابتداء الخلق من العدم، ثم إفنائه وإعادته مرةً أخرى، بل الله وحده المستقل بذلك من غير مشارك، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: فكيف تصرفون عن الرشد إلى الباطل؟!، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وليس من شركائكم وآلهتكم من يهدي إلى الحق ببيانه وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه، وإنما هو من خصائص الله وحده بلا منازع. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ أي: فمن هذا وصفه أحق بالاتِّباع؟! ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ وهم شركاؤهم، الذين لا يقدرون على هداية ضال، ولا دلالة حيران، وإنما يقدر على ذلك مقلب القلوب من الغي إلى الرشد؛ وهو: الله الذي لا إله إلا هو، فهو أهل الاتِّبَاع وحده، ولا يجوز أن يُسوَّى به غيره، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف سويتم بين الله وبين خَلقه، وعدلتم هذا بهذا، وعبدتم هذا وهذا؟ فهلا أفردتم من هو أهل لذلك وهو الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة وعبدتموه وحده، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة؟[1].

وهذا يتضمنُ نفيَ اهتداءِ أولئك الشركاءِ بأنفسهم مطلقًا؛ لضلالهم وعدم علمهم، وأنهم لا يهتدون بحالٍ إلاّ أن يهديهم غيرُهم. وهذا حال جميع المخلوقات؛ فكل مخلوق لا يهتدي إلاّ أن يهديه الله. فالآية نهي عن اتِّبَاع غير الله من تلك المخلوقات، وألا يتبعُ إلاّ الله وحده، الذي يهدي إلى الحق، فكل هُدًى وعلمٍ في العالَم فهو من هداه وتعليمه، ويمتنع أن يكون غيره هاديًا له ومعلمًا[2].

فبين سبحانه بما هو مستقر في الفطر أن الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتِّبَاع ممن لا يهتدي إلا أن يهديه غيرُه؛ فلزم أن يكون الهادي بنفسه هو الكامل؛ دون الذي لا يهتدي إلا بغيره، وإذا كان لا بد من وجود الهادي لغيره المهتدي بنفسه فهو الأكمل

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٩).

(٢) انظر: جامع المسائل (١/ ١٣٩).

والأحق بالاتِّبَاع[1]. وهذا نهي عن عبادة ما سوى الله، وعن استهدائه وعن طاعته، لأن كل معبودٍ فهو متبوع، يتبعه عابده، فإذا لم يتبعه لم يكن عابدًا له؛ ولهذا يُجْزَون يومَ القيامة بنظير أعمالهم؛ فمن كان يعبد الله تبعه يوم القيامة، ومن كان يعبد غير الله تبع ذلك الغير؛ فإن الجزاء من جنس العمل، كما في الأحاديث الصحيحة: «**أنه يوم القيامة ينادي منادٍ ليتبعْ كلُّ قومٍ ما كانوا يعبدون** ...» الحديث، وفيه أن المؤمنين من هذه الأمة، يتبعون اللهَ ﷻ[2].

فمبنى ذلكم الاتِّبَاع -الذي يتمنى كل عبدٍ أن يشرف به يوم القيامة- على اتِّبَاع المنهج الذي أمر الله بالسير عليه في هذه الحياة، والذي مبناه على اتِّبَاع الوحي، وهذا من لوازم الركن الأول من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ،فإن صلاح العالم؛ علويه وسفليه مترتب على ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٨٢).

(٢) انظر: جامع المسائل (١/ ١٣٩).

ونص الحديث كما في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**».

انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، (١٣/ ٤١٩) برقم (٧٤٣٧)،وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١/ ١٦٣) برقم (١٨٢).

بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١] ، قال مجاهد، وأبو صالح والسدي: الحق هو الله ﷻ، والمراد: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرعَ الأمورَ على وفق ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ أي: لِفسادِ أهوائهم واختلافها، ولم يأمر الله تعالى باتِّبَاع قول أحد كائنًا من كان، سوى قوله جلَّ شأنه، وقول رسوله ﷺ، وأمر برد المُتنازع فيه إليه؛ أي: إلى الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] ، فجعل سبحانه الإيمان مشروطًا بالردِّ إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ عند التنازع، واتِّبَاعهما، وأما اتِّبَاع غير الله ورسوله فإن كان تبعًا فلا حرج؛ كاتِّبَاع العلماء الربانيين؛ لأنهم شراح لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، وإلا فلا.

إن الحق هو الذي يجب أن تكون المعاداة والموالاة عليه وحده؛ ولذا أمر سبحانه بقتال من لم يذعن له ويجعله له دينًا ومورِدًا، يصدر عن أمره ونهيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]، فأمرنا الله بأن نقاتل من لم يذعن للحق وينقد له حتى يسلموا أو ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ ﴾ أي: عن قهر منا لهم وغلبة عليهم، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ أي: ذليلون حقيرون مهانون.

وقد عاب الله تعالى على اليهود ومن شاكلهم في كتمان الحق وتلبيسه وخلطه بالباطل، بل أمر سبحانه بإظهار الحق والتصريح به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١] أي: تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢]، أي: لا تخلطوا الحق بالباطل

والصدق بالكذب، وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد ﷺ. وهذا قول الأكثر في معنى الآية، وقال قتادة: ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام؛ فإن دين الله الإسلام، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله. وروي عن الحسن البصري نحو ذلك[1]. ومرادهم بذلك اليهودية والنصرانية المحرفة، أو التي نسخت بالإسلام، وإلا فأصل الديانتين حق من الله، ثم نسختا بالإسلام لا شك في ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[آل عمران: ١٩]، وهذا إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتِّبَاع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى خُتموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثته ﷺ بدِين على غير شريعته، فليس بمُتقبَّل منه؛ لأنه سبحانه أخبر في هذه الآية بانحصار الدين المُتقبَّل عنده في الإسلام، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] ، ولما في صحيح مسلم منْ حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولِ اللهَّ ﷺ قَالَ: « **وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[2].

فهذا هو الحق الذي يجب اتِّبَاعه والنهل من مورده العذب؛ سواء وافق هوى النفس أم خالفه، وألا تتبع الشكوك والظنون؛ اغترارًا بحال الأكثر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

(١) انظر: تفسير ابن كثير(١/ ٣٧٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة ، (١/ ١٣٤) برقم (١٥٣).

يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

المطلب الثالث: اتِّبَاع القرآن الكريم:

لقد توعد الحق سبحانه من أعرض عن اتباع القرآن بأشدِّ العقوبات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، وقد جعل سبحانه رحمته لأهل الملل السابقة -لمن أدرك منهم القرآن - مشروطةً بالإيمان به واتِّبَاعه والاستضاءة بنوره، واتِّبَاع الرسول الذي أنزل عليه ﷺ وتعظيمه، وجَعَلَ فلاحَهم مرهونًا بذلك؛ قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ . ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وقد أمر الله باتِّبَاع القرآن الكريم في الكثير من آياته، وجاء الأمر بذلك على أساليبَ وصيغٍ شتى، ومقترنًا في كثير من أحواله بذكر وصفٍ أو اسمٍ للقرآن يزيد ترغيبًا وتشويقًا في اتِّبَاعه، ويزيد تحريكًا للقلب في إعمال الفكر في القرآن وأوصافه، وما فيه من البلاغة والصدق في أخباره والعدل في أحكامه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

* فأحيانًا يأتي الأمر باتِّبَاع الذكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]، والآية وإن كانت خارجة مخرج الخبر، لكنها في معنى الأمر باتباع الذكر، فالذي ينتفع بنذارة النبي ﷺ ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: اتبع القرآن وعمل بما فيه من أحكام الله، كما قال قتادة رحمه

الله، واختاره ابن جرير[1]. ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ أي: وخاف الله وهو غائب عن أبصار الناظرين، ولا يدخل في ذلك المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في الملأ، ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه. ثم أمر الله نبيه أن يبشر متبع القرآن ﴿بِمَغۡفِرَةٖ﴾ من الله لذنوبه ﴿وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ أي: مثوبة عظيمة في الآخرة، وهي الجنة وما فيها من نعيم[2].

* وأحيانًا يأتي التعبير القرآني آمرًا باتِّبَاع الكتاب أي المكتوب وهو القرآن؛ قارنًا هذا الأمر بوصف يزيد ترغيبًا في اتِّبَاعه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، فأمرنا سبحانه باتِّبَاع هذا القرآن الذي أخبر سبحانه بأنه من عنده وهو الذي أنزله،ومجيء الفاعل بضمير العظمة في قوله: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يدل على عظمةِ المُنزِل والمُنزَل والمُنزَل عليه وهو: محمد ﷺ، وفي وصف القرآن بالبركة ترغيب في اتِّبَاعه، وفيه وعد ضمني بحصول تلك البركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة.

ولما تعنت كفا ر مكة وطالبوا النبي ﷺ بأن يؤتى مثلما أوتي موسى عليه السلام؛ من الكتابِ المنزَّلِ جملةً واحدة، والآيات التي أجراها الله على يديه- وكان ذلك مما أملاه عليهم اليهود لعنهم الله كما قاله مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ- [3]، فرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ . قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ . فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٨ – ٥٠] ، أي: ألم يكفُرْ الذين علموكم هذه الحجة من

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١٥٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١٥٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٨٣) .

اليهود بما أوتي موسى منْ قبلك، كما كفرتم أنتم بهذا القرآن، فكفر البشر بالكتابين، وقالوا عنهما: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾، أي: صَدّق كل منهما الآخر، ثم قال الله ﷻ لهم مبينًا فضل هذين الكتابين: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن كفرتم بالتوراة والقرآن فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ليكون ذلك عذرًا لكم في الكفر وردِّ الحقِ ومعارضته بالباطل.

والآية تدل على أن التوراةَ والقرآنَ هما أهدى كتب الله المنزلة بدلالة صيغة التفضيل: ﴿أَهْدَىٰ﴾ لكنها لا تدل على تساويهما في الهداية، -وكثيرًا ما يقرن الله ﷻ بينهما في القرآن- بل قد قام الدليل على أن القرآن هو أهدى كتب الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].أي: مؤتمنًا عليه، وأمينًا على كل كتاب قبله، وشهيدًا عليه، وحاكمًا عليه، وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل. ذكر هذه الأقوال ابن كثير رحمه الله ثم قال: "وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم "المهيمن" يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]"[(١)] ، وإنما

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٣).

احتل القرآن الكريم هذه المنزلة لأن الله ختم به الكتب وعصمه من أن يتطرق إليه التبديل والتحريف والزلل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ٣٧]، ولا يمكن نسخه بعد وفاة النبي ﷺ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن الله لم ينزل كتابًا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمدٍ ﷺ، وهو القرآن، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران، عليه السلام، وهو التوراة...، والإنجيل إنما نزل متممًا للتوراة ومُحِلًّا لبعض ما حُرّم على بني إسرائيل[1].

* وأحيانًا يأتي التعبير القرآني آمرًا باتِّبَاع قراءة القرآن، مبينًا للنبي ﷺ كيف يتلقى القرآن من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]، فإنه كان ﷺ يبادر الملك إلى أخذ القرآن، ويسابقه في قراءته، فأمره الله عَزَّوَجَلَّ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه[2]. فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه؛ ولهذا قال: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ أي: بالقرآن، كما قَالَ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير(٦/ ٢٧).

(٢) يشهد لهذا ما في الصحيحين عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ كَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ فَكَانَ ذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الآيَةَ الَّتِي فِي ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة:١]، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ. وَقُرْآنَهُ فَتَقْرَأُهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قَالَ فإذا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ لَهُ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ. انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (٨/ ٦٨٢)برقم(٤٩٢٩)،وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة،(١/ ٣٣٠)برقم (٤٤٨).

تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤]، ثم وعد الله نبيه ﷺ بأن يجمع القرآن في صدرة وأن يعلمه قراءته على وجهها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ. فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله ﷻ، ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أي: فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا[١]. وفي هذا وعدٌ ضمني بأن يحفظ الله القرآن تلاوةً وتفسيرًا؛ وإن تفاوتت الأمة أفرادًا في فهم بعض معانيه لكن المعنى الصحيح لا يخرج عن جملتهم.

وقد أمر الله الأمة بما أمر به نبيها ﷺ من الاستماع للقرآن عند تلاوته والإنصات له إعظامًا له واحترامًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ويتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة حين جهر الإمام بالقراءة لما روى مسلم في صحيحه، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا، وَإِذَا قَالَ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ، فَقُولُوا: آمِينَ؛ يُجِبْكُمُ اللَّهُ ...**».[٢]

ولا شك أن المراد بالإنصات هنا ما أثمر تدبرَ القرآن واتِّبَاعه، وإلا فإنما هو زيادة حجة ومؤاخذة على صاحبه، وقد عقل هذا المعنى مُسلمةُ الجن لما استمعوا القرآن من رسول الله ﷺ، ولذا ظهرت الثمرة عليهم مباشرةً فرجعوا إلى قومهم منذرين عاملين بهذا القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٥) .

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (١/ ٣٠٣) برقم (٤٠٤).

* وأحيانًا يأتي الأمر باتِّبَاع القرآن بالتعبير عنه باتباع ما أنزل الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣] أي: اتبعوا القرآن الذي أنزل من أجلكم ولهدايتكم، فالزموا تعاليمه ولا تحيدوا عنها، فإن ذلك من لوازم ولاية الله، فلا تتخذوا غيره وليًّا توالونه على معصيته، والسنة مما جاء الأمر باتباعه في القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧]، لكن القليل من الخلق الذي ينتفع بذلك ويتعظ به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] أي ليس لهم فهمٌ صحيح ولا دليل صريح، ولكن قلدوا الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، وهذه شبهتهم لرد الحق، وفي الآية إبطال للتقليد، ونظائرها كثير.

* وأحيانًا يأتي الأمر باتِّبَاع الوحي، وأفردته بالمطلب التالي لأنه أعمُّ من مجرد قصره على القرآن الكريم.

المطلب الرابع: اتِّبَاع الوحي:

إنَّ اتِّبَاع الوحي لا بُدَّ فيه من فِطرةٍ بها يُعقلُ ويُفقه؛ فإن الهدى متوقف على صلاح الفطرةِ والشِّرعةِ، فلذلك عَمَدَ الشيطانُ إلى بني آدم، فاجتالَهم تارةً عن الفطرة، وزيَّنَ لهم تارةً تحريف الشِّرعةِ؛ فغَرَّهُم عن الفطرةِ الصحيحة السليمة بالقياسِ الفاسدِ الذي قد يُسمُّونه معقولًا وإن لم يكن، وعن الوحي المنزلِ بالتحريف الذي يسمُّونه تأويلًا وإن كان فاسدًا[1].

والاتِّبَاع في الأصل اقتفاء أثر الماشي، ثم استعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[التوبة:١٠٠]. ثم

(١) انظر: جامع المسائل (٥/ ٥٦).

استُعمل في امتثال الأمر والعمل بما يأمر به المتبوع، فهو الائتمار. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وهذا أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ ومن اتَّبع طريقته بأن يقتفوا أثر ما أوحاه الله إلى نبيه ﷺ ويقتدوا به، ويعملوا به؛ فإنه الحق الذي لا مِرْية فيه؛ وأن يعرضوا عن المشركين ويعفوا عنهم ويصفحوا، ويحتملوا أذاهم، حتى يفتحَ الله لهم وينصرَهم عليهم ويظفرَهم بهم[(١)]، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وفي الإتيان بلفظ ﴿رَّبِّكَ﴾ دون اسم الجلالة تأنيس للرسول ﷺ وتلطف معه، وإزالة لما يلقاه من الكدر من استمرار قومه على الشرك، وقلة نفع آياتِ القرآن ونذرِه في قلوبهم[(٢)].

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بشده التمسك بما أوحاه إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزخرف: ٤٣]، لما هوَّن الله على رسوله ﷺ – قبل هذه الآية– ما يلاقيه من شدة حرصه على إيمان قومه، ووعده النصر عليهم فرَّع على ذلك أنْ أمرَه بالثبات على دينه وكتابه وأن لا يضعف عزمُه في الدعوة ضجرًا من تصلبهم في كفرهم ونفورهم من الحق.

والاستمساك: شدة المسك، فالسين والتاء فيه للتأكيد ومزيد الطلب، والذي أوحي إليه هو القرآن، وجملة ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ تأييد لطلب الاستمساك بالموحى به وتعليل له، أي: على طريقٍ راسخ في الاهتداء إلى مراد الله تعالى كما يتمكن السائر من طريق مستقيم لا يشوبه في سيره تردد، ولا خشيةُ ضلال في بنياته، كقوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٨).

(٢) انظر: تفسير ابن عاشور (٧/ ٤٢٣، ٤٢٤).

وحرف الاستعلاء "على" يراد به التمكن كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، وهذا تثبيت للرسول ﷺ وثناء عليه بأنه ما زاغ قيد أنملة عما بعثه الله به، ويتبعه تثبيت المؤمنين على إيمانهم(١).

وقد أمر الله نبيه ﷺ بأن يجعلَ اتِّبَاع الوحي وسيلةً لدحر مجادلة قومه الباطلةِ، وطلبهم بعض المعجزات تعنتًا؛ فأمره أن يدحر شبههم تلك كلها بأنه إنما يتبع ما يوحى إليه، وذلك في غير ما آية من كتابه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠] ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمقترحين عليه الآيات بأنه لا يملك مفاتيح رزق الله ورحمته ولا يتصرف فيها، ولا يعلم الغيب وإنما ذلك إلى لله وحده ومن خصائصه وحده؛ فلا أطلع منه إلا على ما أطلعني الله عليه،﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ إنما أنا بشر من البشر، يُوحى إليَّ من الله ﷻ، شرفني بذلك، وأنعم عليّ به؛ فأتبع ذلك لا أخرج عنه قيد شبر فأعمل به في نفسي، وأدعو الخلق إليه، وما دمت لم أتجاوز منزلتي وما أمرت به، فلماذا تطلبون مني أمرًا لستُ أدعيه؟ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ أي: هل يستوي من استنارت بصيرته باتِّبَاع الوحي، ومن أظلمت باتِّبَاع الضلال؟! ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتنزلون الأشياء منازلها، وتختارون ما هو أولى بالاختيار والإيثار؟ وهذه كقوله تعالى:﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩](٢).

وهذه سنة جارية في القرآن الكريم، يرشد الرب سبحانه وتعالى فيها نبيه ﷺ إلى صدِّ بهتانِ المشركين ومعاندتِهم عند قيام الحجة عليهم وطلب معجزاتٍ من خوارق العادات حتى يصدقوه، حتى اقترحوا من تلك الخوارق والمعجزات ما فيه مضرةٌ

(١) انظر: تفسير ابن عاشور (٢٥/ ٢٢٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير(٣/ ٥٣٧ ، ٥٣٨)، والسعدي (٢/ ٢٨).

لهم؛ توسعةً على النبي ﷺ في زعمهم وإغراقًا في استبعاد ذلك، وملاجَّةً وعنادًا؛ كما قال تعالى -بعد جملة من مقترحاتهم-: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء:٩٣]، فأجابهم ﷺ بما يدل على قَصْرِ نَفْسِه على البشرية والرسالة، أي اتِّبَاع ما يوحى إليه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، وهذا المعنى جاء في آيات كثيرة من كتاب الله.

والأمر باتِّبَاع الوحي أعم من الأمر باتِّبَاع القرآن؛ إذ يدخل في ذلك صحيح السنة فهو من الوحي لقول النبي ﷺ: « **أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»[(١)]، وإن كان اتِّبَاع السنة مما أمر به القرآن من حيث الجملة، لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، لكن أحوال السنة مع القرآن؛ إما أن تكون موافقة له، أو تفسيرًا له، أو موجبةً لحكم سكت عنه، والكل يدخل في عموم الوحي؛ لذا أفردت هذا المطلب بعنوان مستقلٍّ.

المطلب الخامس: اتِّبَاع صراط الله المستقيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، الإشارة في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ يصح أن تعود إلى ما وصى الله به في الآيتين المتقدمتين على هذه الآية[(٢)]،

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، (٤/ ٢٠٠) برقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داوود، (٣/ ٨٧٠، ٨٧١) برقم (٣٨٤٨) من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ.

(٢) وهما قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥١- ١٥٢].

أي هذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس وأمركم بالوفاء به؛ هو ودينه الذي ارتضاه لعباده.

وفي المراد بالصراط قولان: أحدهما: أنه القرآن، والثاني: الإسلام[١].

ولا منافاة فالكل محتمل، وَوَصَفَه بالاستقامة؛ ترغيبًا فيه؛ لأنّ الطّريق المستقيم أيسر سلوكًا وأسرع وصولًا إلى الغاية، يعني ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ على الحق لا اعوجاج فيه.

ويصحُّ أن تعود الإشارة إلى الإسلام؛ فالإشارة إلى حاضر في أذهان المخاطبين من أثر تكرّر نزول القرآن وسماع أقوال الرّسول ﷺ بحيث عرفه النّاس وتبيّنوه، فنزلّ منزلة المشاهد.

ويجوز أن تكون الإشارة إلى جميع ما تقدم من تشريعات ومَواعظ في هذه السّورة، لأنَّها صارت كالشّيء الحاضر المشاهد[٢].

فقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ أمر باتِّبَاع صراط الله المستقيم علمًا وعملًا ومنهجًا، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ أي: الطرق المعوجة التي هي: عدا هذا الطريق، وهي تعمّ اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر الملل والنحل، والبدع والضلالات والأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من التعمق في الجدل والخوض في الكلام، فهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد[٣].

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ أي تتشتت بكم في أنفسكم وقلوبكم إن اتبعتم تلك السبل المحدثة التي ليست لله بسبيل ولا طريق ولا أديان، ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: هذا ما وصاكم به ربكم لتتقوه في

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: تفسير ابن عاشور (٨/ ١٧٢).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٣٦٤).

أنفسكم فلا تسخطوه فيحل بكم عذابه[١].

وعن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن. قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك مَنْ كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله[٢].

وعن عَبْدِ اللهَّ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَوْمًا خَطًّا فَقَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**»، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خُطُوطًا فَقَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا**»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾»[٣]، فالنجاة في التمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، وفيه المتجر الرابح[٤].

المطلب السادس: اتِّبَاع هدى الله:

والهدى وصف لازم لكل ما أمر الله باتِّبَاعه من كتابِه الحكيم، وصراطِه المستقيم، وشرعِه القويم، فنحن مأمورون باتِّبَاع ذلك كله، وبما شرع لنا على لسان رسوله ﷺ، بذلك يرتفع العبد وبالعصيان واتِّبَاع الهوى ينخفض، فما الذي أهبط أبانا آدم عليه السلام من الجنة إلا المعصية؟ وما الذي يرفعه وذريته بعد ذلك إليها إلا الطاعة واتِّبَاع ما أنزله الله من الهدى؟ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٨٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٨٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٨٨)، والدارمي في سننه، باب كراهية الفتيا (١/ ٢٨٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٥)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث العقيدة الطحاوية (١/ ٥٨٧)، وأحمد شاكر في تحقيقه تفسير الطبري برقم (١٤١٦٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٩٠).

فمن اتبع ما جاء عن الله من هدى؛ من رسولٍ مرشد أو كتاب مبين فآمن بذلك وصدق، وامتثل الأوامر واجتنب الزواجر، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، فرتب سبحانه على اتِّبَاع هداه أربعة أشياء:

نفي الخوف، ونفي الحزن، ونفي الضلال، ونفي الشقاء؛ فنفي الله عنهم الخوف من مكروهٍ متوقع فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، والحزن على مكروهٍ مضى مما فاتهم من أمر الدنيا، وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هدى الله، وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه حصل له الهدى والأمن والسعادة الدنيوية والأخروية، وانتفى عنه كل مكروه، فحصل له المرغوب، واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع هداه فكفر به وكذب بآياته؛ ولذا قال سبحانه بعد آية البقرة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، أي: ملازمون لها، ملازمة الصاحب لصاحبه، والغريم لغريمه، لا يخرجون منها، ولا يُفَتَّرُ عنهم عذابها، وكذا قال بعد آية (طه): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]، فهذا جزاء من أعرض عن كتاب الله وخالف أمره؛ أن يجعل الله معيشته ضيقة مشقة، لا سعادة فيها وإنما هي عذاب. وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه ويعذب فيه، وشاهده من الآية نفسها: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ مما يدل على أن المعيشة الضنك قبل يوم القيامة؛ أي: في القبر، ويدلُّ عليه أنَّ النبي ﷺ فسر الآية بذلك(١)، ولعل المعيشة الضنك، عامةٌ في دار الدنيا والبرزخ

(١) كما في حديث أبي هريرة ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: «**عذاب القبر**». أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٨١)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٣٨٩) برقم (٣١١٩) والبيهقي في إثبات عذاب القبر، ص (٥٨-٥٧)، وحسن إسناده الألباني في صحيح

والآخرة؛ لإطلاقها في الآية، وتكون في الدنيا بما يصيب المعرض عن ذكر ربه من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب مُعَجَّلٌ، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل هو ضَيِّقٌ حَرَجٌ لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره(١).

جميع تلك العقوبات على ترك هدى الله وعدم اتخاذه منهجًا ومسلكًا؛ إذ السلامة كل السلامة في اتِّبَاعه؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

المطلب السابع: اتِّبَاع رضوان الله:

وهو تلمس محابّ الربّ ومراضيه؛ باتِّبَاع ما أمر به في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، من شرعه ونوره وهداه الذي أرشد إليه، وسلوك صراطه المستقيم الذي أبان، وشرعه القويم الذي سنَّ، فكل ذلك اتِّبَاع لرضوان الله تعالى، ولا يستوي من هذه حاله فاستحق من الله رضاه وجزيل ثوابه، وأن يُجِيره من وَبِيل عقابه، ومن استحق غضب الله؛ فلا محيد له عنه، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:١٦٢] (٢)، وكذلك كان أصحاب النبي ﷺ ورضي عن أصحابه أجمعين؛ في توكلهم على الله تعالى، واتِّبَاعهم مرضاته، واستجابتهم لأمره وأمر رسوله ﷺ، مهما كانت المشقة المترتبة على ذلك؛ فاستحقوا من ربهم عظيم الأجر والمثوبة، والرفعة في الدنيا والآخرة، حتى أشاد الله تعالى بذكرهم والثناءِ عليهم؛ قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ . ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ . فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟

الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٧) برقم (٣٥٥٢).

(١) انظر: تفسير السعدي (٣/ ٢٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٠).

رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤]، فويل لمن تنقَّصَ من هداهم الله وزكاهم ورضي عنهم، وأشاد بمدحهم، والثناء عليهم؛ لتلمسهم مراضيه واتِّبَاعهم كتابه الذي أنزله على نبيه الكريم ﷺ طريقًا للنجاة والسلامة ومنهجًا للاستقامة، ينجي من اتبعه من المهالك، ويوضح له أبين المسالك، فينصرف عنه المحذور، ويحصل له أنجب الأمور، وينفي عنه الضلالة، ويرشده إلى أقوم حالة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ . يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥-١٦][1].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٦).

المبحث الثاني
موارد الاتِّبَاع في القدوة

إن مما يُوَطِّن النفوسَ على قبول الحق واتِّبَاعه والرضا به؛ وجودَ قدواتٍ عمليَّةٍ تَجَسَّدَ فيهم ذلكم الحقُّ؛ فنَبُلتْ أخلاقُهم، وسمت معاملتهم، وارتقت نفوسهم، وصفت سرائرهم، حتى أسروا قلوب الناس، وشهد لهم المنصفون منهم بما هم عليه من سموٍ ورقيٍ ونبلٍ في التعامل والأخلاق.

ولا بد أن تكون تلك القدوات من جنس البشر؛ حتى لا يستحيلَ في العقول الاتصافُ بأوصافهم، ولا قبولُ ما دعوا إليه؛ لذا بعث الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، واصطفي لهم اتبَاعًا من خيرة أهل زمانهم، ليكونوا موردًا ينهل منه خيار الخلف في اتِّبَاع خيار السلف، وباستقراء آيات القرآن الكريم نجد أن القدوات من البشر الذين أَمَرَ الله باتِّبَاعهم وأن يحذوا من جاء بعدهم حذوهم ويسلك مسلكهم ويتخذهم قدوةً: إما نبيٌ أرسله الله واصطفاه، أو ولي وفقه الله لعملٍ صالح زكّاه، وعلى قدر تلك التزكية يأتي الأمر والتأكيد على اتِّبَاعه في القرآن، وليست التزكية عند الله تعالى منوطة بنسب أو جنس أو هيئة، وإنما دعامتها وركنها الذي يقوم بنيانها عليه تقوى الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فمناط الخيرية تقوى رب البرية، وفي هذا ردٌ لما يدعيه الرافضةُ -أخزاهم الله- بأن لأئمتهم مقامًا لا يبلغه مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبيٌ مرسل[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٣]، فكيف يُغفلُ القرآنُ أمرًا من الخطر بهذه المكانة والمنزلة، ويبين أحكام الطلاق والبيع والشراء ونحوه مما هو دونه، ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:٥٠]، وبحصر تلك القدوات

(١) هكذا يقول زعيمهم الخميني -أخزاه الله- كما في الحكومة الإسلامية ص (٥٢).

التي أمر القرآن باتِّبَاعها نجد أنها تنحصر في المطالب التالية:

المطلب الأول: اتِّبَاع الأنبياء والمرسلين:

إن كلَ سعادةٍ حصلت للبشرية سواءً في أمر دينهم أو دنياهم، في أولاهم أو أخراهم؛ إنما هي أثر من آثار اتِّبَاع الأنبياء والمرسلين، فإن الله تعالى أرسلهم بالعلم النافع والعمل الصالح فمن اتبعهم حصل له من سعادة الدنيا والآخرة بقدر ذلك الاتِّبَاع في العلم والعمل، وإنما دخل في البدع من قصّر في اتِّبَاع الأنبياء علمًا وعملًا، فكلُّ هدًى أدى إلى سعادةِ الدنيا والآخرة فهو باتِّبَاع الأنبياء والمرسلين، وكل ضلال أدى إلى عذاب الدنيا والآخرة فهو بالإعراض عمّا جاؤوا به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤][(١)].

ومن استَقْرأ أخبارَ الأمم: علمائِها وعوامِّها، لم يجدْ أحدًا متمسكًا بتوحيد الله وعبادتِه وحدَه لا شريك له إلاّ ممن كان متبعًا للأنبياء جملةً وتفصيلًا، ومن أعرضَ عن اتِّبَاعهم فلابدَّ أن يُشرِك، حتى المنافقين من هذه الأمة؛ لا يَوجدُ من أعرضَ عن اتِّبَاع حقيقةِ الدين في الباطن إلاّ ويقع في الشرك، إلاّ ما شاء الله[(٢)].

ولهذا يحاسب الخلق يوم القيامة على عدم اتِّبَاعهم للمرسلين ويؤاخذون على ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

فالرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتِّبَاع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتِّبَاع الرسالة، فان الإنسان مضطر إلى الشرع، لجلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنًا [(٣)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٧).

(٢) انظر: جامع المسائل (٥/ ٥٥-٥٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩).

والمقصود باتِّبَاع الأنبياء هنا؛ اتِّبَاعهم في تحقيق التوحيد لله تعالى؛ إذ جميعهم دعوا إلى توحيد واحد لا يتغير ولا يتبدل، واتِّبَاعهم في تصديق الأخبار التي جاءت عن الله تعالى؛ مما يتعلق بأمور الآخرة، أو بأخبار الأمم الماضية فهي مما لا يدخله النسخ أيضًا، أو اتِّبَاعهم في عموم طاعة الله تعالى والانقياد لشرعه كلًّا بحسب الشريعة التي كُلِّف بها، وأما بعد مبعث نبينا محمد ﷺ فإن الله نسخ بشريعته الشرائع السابقة فلا يقبل الله من أحد العمل إلا بها، ومن اتبعه فكأنما اتبع جميع الأنبياء، كما أن من كذب واحدًا منهم فكأنما كذب الجميع.

وقد أمر اللهُ نبيه ﷺ أن يضرب للمكذبين برسالته الرادين لدعوته مثلًا يعتبرون به، ويكون لهم موعظة إن وفقوا للخير، وذلك المثل: هو ما ذكره الله تعالى في سورة (يس) عن أصحاب القرية، وما جرى لهم من عقوبةٍ ونكالٍ لما كذبوا رسلَ الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ... ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ . ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ . وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ . ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ . إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ . إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ . قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس: ١٣– ٢٧].

فجَاءَ هذا المؤمن جاهدًا؛ حريصًا على نصح قومه حين سمع ما دعتهم إليه الرسل، وعلم ما رد به قومه عليهم فآمن بالمرسلين وأمر قومه باتِّبَاعهم ونصحهم بذلك، شافعًا نصحه بما يحمل على اتِّبَاع أولئك المرسلين، ويؤيد ما شهد به ودعا إليه، فقال: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ أي: اتبعوا من نصحوكم بما يعود عليكم بالخير، ولا يريدون منكم على ذلك أجرًا، وهم مع ذلك مهتدون؛ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا عما يشهد العقل الصحيح

بقبحه، وحفزًا لهم على اتِّبَاعهم عَمِلَ هو أولًا بما يدعو إليه فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ . ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أي: وما المانع لي من عبادة من يستحق العبادة؟ لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآلي ومآل جميع الخلق، فيجازي كلًّا بعمله، فهو المستحق للعبادة دون من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، فمن فعل ذلك فلا أضل منه، ولهذا قال عن نفسه لو حصل منه ذلك: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ بل وأعلن إيمانه وأسمعه قومه فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ ويبدو أنهم قتلوه بعد ذلك فـ﴿قِيلَ﴾ له في الحال: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ فـ﴿قَالَ﴾ مخبرًا بما وصل إليه من الكرامة على اتِّبَاع المرسلين وتوحيده وإخلاصه لله، وناصحا لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: بأي: شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ بأنواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم[1].

فهذه ثمرة اتِّبَاع الأنبياء والمرسلين، فكل أمة مأمورة باتِّبَاع رسولها، ومن اتبع رسوله فكأنما اتبع جميع المرسلين، ومن كذبه فكأنما كذب الجميع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، ونوح عليه السلام أولهم، ومع ذلك جعل الله من كذبه مكذبًا لسائر المرسلين، بل أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا كما تأتي الإشارة إليه بحول الله[2].

وقد أمرنا الله ﷻ -من حيث الجملة- أن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وبما أوتوه وأن نقتدي بهم وبهداهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ

(١) انظر: تفسير السعدي (٤/ ٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) انظر: ص (١٢٠، ١٢١).

ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ لأنهم يأمرون بطاعة الله؛ ولذا نجد جميع الأنبياء عليهم السلام يأمرون قومهم؛ بطاعتهم واتِّبَاعهم؛ لأنها فرع عن طاعة الله تعالى؛ ولهذا أخبر سبحانه وتعالى عن هارون عليه السلام وما قاله لقومه - لما عبدوا العجل بعد ذهاب أخيه نبي الله موسى عليه السلام لميقات ربه- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ [طه: ٩٠]، فكل أمة أوجب الله عليها اتِّبَاع نبيها، لأنه المبلغ عن الله تعالى، ولأنه لا أحد من الخلق أنصح لها منه، ولا يتأتى منهم الإيمان إلا بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى -مخاطبًا خاتمهم ﷺ بعد أن ذكر جملة منهم-: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠]، وما ذاك إلا لما قاموا به من كمال توحيد الله وعبادته، فإن أكمل الناس توحيدًا لله تعالى هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيدًا؛ وهم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأكملهم توحيدًا الخليلان؛ محمد وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما، فإنهما قاما من توحيد الله بما لم يقم به غيرهما؛ علمًا ومعرفةً وحالًا ودعوةً للخلق وجهادًا، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه؛ ولهذا أمر الله سبحانه نبيه أن يقتدي بهم فيه، ولا أكمل من توحيد من أمر رسول الله أن يقتدى بهم، ولَّما قاموا بحقيقته؛ علمًا وعملًا ودعوةً وجهادًا؛ جعلهم الله أئمة للخلائق يهدون بأمره ويدعون إليه، وجعل الخلائق تبعًا لهم يأتمّون بأمرهم وينتهون إلى ما وقفوا بهم عنده، وخص بالسعادة والفلاح والهدى اتِّبَاعهم، وبالشقاء والضلال مخالفيهم(١).

والمقصود أن الله سبحانه يريد أن يبين لنا ويهدينا سنن الذين من قبلنا الذين قال

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٥٠١، ٥٠٢).

فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾، وهم الذين أمرنا أن نسأله الهداية لسبيلهم في كل ركعة من صلاتنا؛ فنتضرع إليه قائلين: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ. صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧].

وإن كان الله ﷻ قد أمرنا باتِّبَاع جميع الأنبياء والمرسلين من حيث الجملة؛ فإنه سبحان قد خصَّ بعضهم لمزيد شرفٍ تحققَ لهم لم يبلغه غيرهم، ومن هؤلاء الخليلان عليهما السلام، كما يتبين في المطلبين التاليين:

المطلب الثاني: اتِّبَاع الرسول ﷺ:

لئن كان الفلاح والنجاح، وسعادة الأولين والآخرين في اتِّبَاع الأنبياء والمرسلين؛ فإن هذا الأمر يتحتم في حق خيارِهم محمدٍ ﷺ، فهو أحقُهم بذلك ﷺ؛ لأن الله اصطفاه على بني آدم، وختم به النبوات، ونسخ برسالته الرسالات، وبشريعته الديانات، وجعل طريقَ الجنة طريقَه؛ لا سبيل إليها بعد مبعثه إلا بذلك، فليس ثمَّ طريقٌ إلى الله تعالى بعد مبعثه إلا باتِّبَاعه واتِّبَاع سنته، ولا عبادةٌ يُتقرَّبُ بها إليه إلا ما بيّنه ﷺ؛ ففي الصحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

فكتب سبحانه رحمته لمن آمن به ﷺ، وعذابه لمن كفر به، حتى من أدركه من اتِّبَاع الأنبياء السابقين عليهم السلام، وجعل الله اتِّبَاعهم له ﷺ شرطًا في نيل رحمته والنجاة من عذابه؛ فلما دعا نبي الله موسى عليه السلام له ولقومه بالمغفرة ونيل الحسنة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٥٦]، جعل الله استجابةَ ذلك مشروطةً باتِّبَاع نبينا محمد ﷺ: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ

(١) رواه مسلم. وتقدم تخريجه ص (٩٦).

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ . ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦- ١٥٧].

فجعل سبحانه رحمته للذين يؤمنون بآياته، ومن تمام الإيمان بها؛ معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتِّبَاع النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، في أصول الدين وفروعه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ احتراز عن سائر الأنبياء، فإن المقصود بهذا نبيُنا محمدٌ ﷺ، فالإيمان به شرط في الدخول في الإيمان، وجعل الله المؤمنين به المتبعين له، هم أهل الرحمة المطلقة، التي كتبها اللهّ لهم، ووصفه بالأمي لأنه من العربِ الأمةِ الأمية، التي لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها قبل القرآن كتاب.

وحتى لا يظن ظان أن الأمر مقصورٌ على أهل التوراة أمر الله تعالى نبيه أن ينادي في جميع الناس بما يدل على العموم؛ عربيهم، وعجميهم، أهل الكتاب، وغيرهم فقال تعالى -بعد ذلك-: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨]، أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله، ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالًا بعيدًا(١).

ولِتَأَكُّدِ أهمية اتِّبَاع النبي ﷺ جعل الله ذلك مما يبتلي به العباد ويختبرهم به على

(١) انظر: تفسير السعدي (٢/ ١٨٣، ١٨٤).

صحة إيمانهم ومحبتهم لله تعالى، ولرسوله ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فامتحن الله هذه الأمة واختبرها بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة تمحيصًا لها ليجعلها الله خيار الأمم، وليكونوا يوم القيامة شُهَداء عليهم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. والوسط هاهنا: الخيار والأجود، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خَصَّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨].

وإنما أمر الله نبيه بالتوجه إلى بيت المقدس أولًا ثم إلى الكعبة امتحانًا واختبارًا ؛ ليظهر حالُ من يَتَّبعه ويُطيعه ويستقبل قبلته حيثما توجه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾، أي: مُرْتَدًّا عن دينه ﴿وَإِن كَانَتْ ﴾ أي: هذه الفعلة؛ وهي: التحول إلى الكعبة، ﴿لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ أمرًا عظيمًا في النفوس، إلا على الذين هدى الله قلوبهم، وأيقنُوا بتصديقك، وأنَّ كلَّ ما جئت به حقٌ لا مرْية فيه، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله أن يكلّف عباده بما شاء، وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك، بخلاف الذين في قلوبهم مرض، فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكًّا، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥] ، ولهذا كان الذين ثَبَتوا على تصديق الرسول ﷺ في ذلك، واتبعه من غير شك ولا رَيْب، وصلّوا القبلتين هم

ساداتِ الصحابة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا. وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْقِبْلَةِ (الْكَعْبَةِ)[١].

وعند مسلم مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَنَزَلَتْ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ، قَالَ: فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ»[٢]. وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ورسوله، وانقيادهم لأوامر الله ﷻ، رضي الله عنهم أجمعين[٣].

ولأهمية اتِّبَاع الرسول ﷺ من الدين، جعل الله ذلك دليلًا على صدق محبة العبد ربَّه وشرطًا في مغفرته له؛ فمن لم يتبع النبي ﷺ ويقتفي أثره ويهتدي بهديه، لم يصدْق في محبته لله تعالى، ولا حظ له في رحمته ومغفرته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١ – ٣٢].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] (٨/ ١٧٣)، برقم (٤٤٨٨)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (١/ ٣٧٥) برقم (٥٢٦) واللفظ له.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (١/ ٣٧٥) برقم (٥٢٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١١).

ولقد أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء وأُمَمِهم من قبل أن يبعث الله فيهم نبينا محمدًا ﷺ أن يتبعوه ويؤمنوا به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:٨١- ٨٢]، وفي معنى الآية قولان:

الأول: قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهم: ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث محمدًا وهو حَيّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بُعثَ محمدٌ ﷺ وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

الثاني: وقال طاووس، والحسن البصري، وقتادة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا. فالمعنى: أن الله قد أخذ من كل نبي بعثه مَهْمَا آتاه من كتاب وحكمة، ومهما بلغ من مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتِّبَاع من بعث بعده ونصرته؛ وأنه سبحانه أخذ عليهم العهد الشديد المؤكد بذلك، فأقروا به وشهدوا والله على ذلك مِنَ الشَّاهِدِينَ، فَمَنْ تَوَلَّى عن هذا العهد والميثاق، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾. ولا تضاد بين القولين، بل الثاني يستلزم الأول ويقتضيه(١).

والآياتُ الآمرةُ باتِّبَاع نبينا محمد ﷺ واقتفاء أثره وطاعته والاستجابة له كثيرة جدًّا وإنما المقصود هنا الإشارة.

المطلب الثالث: اتِّبَاع ملة إبراهيم عليه السلام:

إن النماذج البشرية التي بلغت في تحقيق كمال العبودية لله تعالى ما خولها أن تكون

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٠، ٣٧١).

أسوةً وقدوةً يُحتذى بها قليلةٌ جدا، مما يدل على أن الكمال مطلب عزيز، لكن الله تعالى الغفور الرحيم لم يكلف عباده بمحال، بل كلفهم بما في وسعهم؛ ولذا وجد من عباده من نال من كمال العبودية له سبحانه ما أهلهم بأن يأمرنا الله باتِّبَاعهم، وأن نتخذهم قدوة نحذو حذوهم في تحقيق ما أمكن من كمال العبودية لله، ومن هؤلاء خليل الله ونبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام؛ إبراهيم الذي وصفه ربه في كمال توحيده وعبوديته بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ . ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠– ١٢٣].

فمن جملة فضائله عليه السلام ومناقبه التي خصَّه الله بها؛ أنه: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ أي: إمامًا جامعًا لخصال الخير هاديًا مهتديًا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: الأمة معلم الخير، أي: كان معلِمَ خيرٍ، يأتَمُّ به أهل الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أمة. وقال قتادة رحمه الله: ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه[1]. ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: خاشعًا مديم الطاعة لربه مخلصًا له، منحرفًا عن الشرك إلى التوحيد قصدًا، وهذه تبرئة له من الله تعالى من ديانة مشركي قريش، ومن اليهودية والنصرانية[2].

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: قائمًا بشكر الله في جميع ما أنعم به عليه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧]، أي: وَفّى جميع مقامات العبادة؛ لذلك اصطفاه ربه واختصه بخلته، وجعله من صفوة خلقه، وخيار

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٨٩)، وهو في صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل (٨/ ٣٨٤) عن ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنه قال: «الأُمَّةُ مُعَلِّمُ الخَيْرِ، وَالْقَانِتُ المُطِيعُ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٩٠، ١٩١)، وابن كثير (٤/ ٧١٩، ٧٢٠).

عباده المقربين.

ومما يؤكد الأمر باتِّباع نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ ويدلُّ على عظيم فضائله وكمال عبادته وصحة توحيده وطريقه؛ أنْ أوحى الله لنبينا محمدٍ ﷺ باتِّباع ملته، والاقتداء، وأمة محمد ﷺ تبع له؛ حيث قال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام: ١٦١].

ولا يلزم من كونه ﷺ أُمِرَ باتِّباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه، ﷺ قام بها قيامًا عظيمًا، وأكملت له إكمالًا تامًا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى إبراهيم الخليل عليه السلام[1].

بل أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمر أهل الكتاب باتِّباع نبي الله إبراهيم؛ تصديقًا لما جاء به القرآن؛ وذلك لما افتروا على الله تعالى فيما أحلَّ وحرمَ، فأكذبهم ﷻ حيث قال: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥] أي: صدق فيما أخبر به وفيما شرعه في القرآن ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: التي شرعها الله في القرآن وهي ملة الإسلام التي أنا عليها، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

ولما كانت ملةُ نبي الله إبراهيم عليه السلام مرضيةً عند جميع الأمم؛ وادعى كل من اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام على ملتهم؛ أكذبهم الله تعالى جميعًا حيث قال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧-٦٨]، وأخبر سبحانه أن أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٥٢ ، ٦٥٣).

وهذا النبي -يعني محمدًا ﷺ- والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومَنْ تبعهم بإحسان.

ولقد جاء الأمر في القرآن الكريم باتِّباع ملة إبراهيم عليه السلام بأسلوب يشعر بكماله واستيفائه للجوانب التي هي موضع القدوة من العظماء؛ فقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة: ٤ – ٦]؛ فإن الأُسْوَةَ -بضم الهمزة وكسرها[(١)]؛ كالقُدوة والقِدوة-: هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتِّباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا، وإن سارًّا وإن ضارًّا.

فأمر القرآن باتِّباع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في جميع جوانب حياته التعبدية؛ فليس منها جانبٌ أو خلةٌ غير مرضية، لم يستثن الله تعالى من ذلك إلا استغفارَه لأبيه المشرك، وهو أمرٌ جاء النهي عنه في شريعة محمد ﷺ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وكذلك جاء الأمر في القرآن الكريم باتخاذ نبينا محمد ﷺ – وهو خليل الرحمن أيضًا – أسوة وقدوة؛ قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]، ووصف الله الأسوة بقوله: ﴿حَسَنَةٌ﴾ تأكيدًا على أهميتها وأن من حقها أن يُتأسى

(١) قرأ الجمهور: بكسر الهمزة، وعاصم: بضمها وهما لغتان. انظر: النشر في القراءات العشر (٣/ ٢٥٠)، والتيسير في القراءات السبع ص (١٧٨) و مادة: (أسا) في لسان العرب (١٤/ ٣٥)، ومفردات القرآن للراغب ص(٧٦).

بها، كما دلت الآيتان على فضل الاقتداء بالخليلين عليهما الصلاة والسلام، وأنهما الإسوة الحسنة لا محالة من غير تفصيل وتحديد لمراتب الائتساء فيهما؛ الواجب منه والمستحب(١).

فتخصيص الله تعالى هذين الخليلين عليهما الصلاة والسلام بالأمر باتِّبَاعهما على وجه التعيين من بين سائر أنبيائه ورسله دليل على مزيد فضل وشرف نالاه بحسن عبادتهما لله تعالى لم ينله غيرهما.

المطلب الرابع: اتِّبَاع المهاجرين والأنصار:

لئن كان الله تعالى جعل أنبيائه ورسله قدوات تمشي على الأرض يحتذي الناس حذوهم ويترسمون خطاهم، وجعل سعادة البشرية في الدنيا والآخرة مترتبةً على اتِّبَاعهم؛ فأعظمَهم تحصيلًا لتلك السعادة؛ هو أشدُهم اتِّبَاعًا للأنبياء والمرسلين وأعلمُهم بآثارهم ؛ فإنه سبحانه اختار لهم خير الأصحاب، واصطفي من أولئكم الأصحاب من حققوا التأسي بالأنبياء والمرسلين على أكمل صوره فشرفهم الله بأن جعلهم قدوات لمن جاء بعدهم، يتبعون هديهم، ويقتدون بهم، ويترسمون خطاهم، ولا شك أن حظَّ النبي الخاتم الذي اصطفاه ربُه على سائرِ الأنبياء والمرسلين، وجعله خيارَهم، بل سيدَ ولد آدم، وختم به النبوات؛ لا شك أن حظَّه من الأصحاب والاتِّبَاع هو الحظ الأوفر والنصيب الأكمل؛ فقد أثنى الله على صحابته في كتابه ثناء لم يأت مثلُه من الثناء على اتِّبَاع نبيٍ قبله، فخلد الله ذكرهم في كتابه العزيز وأمرنا باتِّبَاعهم وأن نتخذهم قدوةً نتأسى بهم ونحذو حذوهم، وجعل ذلك دينًا نتعبده به سبحانه؛ فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ٣٠٢، ٣٠٣).

فامتدح الله تعالى السابقين الأولين من أصحاب نبيه ﷺ؛ المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم؛ فالمهاجرين؛ الذين هجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا أوطانهم وأموالهم، والأنصار؛ الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه على أعدائه، وآثروا إخوانَهم المهاجرين بأموالهم، وأخبر سبحانه عن رضاه عنهم رضًا مطلقًا بلا قيد، وجعل سبحانه مناط رضاه عمن جاء بعد المهاجرين والأنصار مقيدا باتِّبَاعهم بإحسان(١)؛ مما يدل على أن من بعدهم مأمورون باتِّبَاعهم، وأن فلاحهم ورضى الله عنهم مرهون بذلك؛ لأنهم هم الذين نقلوا لنا القرآن، وسنة نبينا ﷺ القولية والفعلية والتقريرية، فلا سبيل إلى اتِّبَاعه ﷺ إلا باتِّبَاعهم وسلوك سبيلهم رضي الله عنهم أجمعين، ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار(٢)، فاتِّبَاعهم ووجوب التمسك بهم ومحبتهم وعدالتهم من أهم أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ فإن دين الله تعالى الذي بعث به رسولَه محمدًا ﷺ، وأنزل به كتابه؛ هو مسلكهم وطريقتهم وهم خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين، شهد لهم بذلك من لا ينطق عن الهوى؛ ففي الصحيحين منْ حديث عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»(٣).

قال ابن كثير رحمه الله عند آية (التوبة) السابقة -: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من

(١) انظر: التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ص (٤٢٥، ٤٢٦)، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٢٦).

(٢) انظر: الفتاوى (١٠/ ٣٠٥)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب إِذَا قَالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ، أَوْ شَهِدْتُ بِاللَّهِ. (١١/ ٥٤٣)، برقم (٦٦٥٨) وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (٤/ ١٩٦٢) برقم (٢٥٣٣).

أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيدُ الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﷺ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبُّون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون؛ ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون» أ.هـ[(١)].

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: «من كان منكم مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب رسول الله ﷺ؛ أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقُها علمًا، وأقلُّها تكلفًا، وأقومُها هديًا، وأحسنُها أخلاقًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقَهم، وتمسكوا بهديِهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[(٢)].

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وإنما صارَ أولُ هذه الأمة خيرَ القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام»[(٣)].

وفي المسند بإسناد حسن، عن عبد الله بن مسعود ﷺ أيضًا أنه قال: « **إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ**

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٤٥٣)، وابن القيم في اعلام الموقعين (٢/ ١٨٣، ١٨٤)، وإغاثة اللهفان (١/ ٢٩٤)، وذكره الهروي في ذم الكلام وأهله، (٤/ ٣٨).

(٣) انظر: شرح الموطأ (٣/ ٣٧).

فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ. ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ »(١).

فالصحابة رضي الله عنهم أجمعين صفوة الله من خلقه بعد النبيين عليهم السلام، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل:٥٩] ،قال: أصحاب محمد ﷺ ، وكذا فسرها سفيان الثوري والسدي رَحِمَهُمَا اللَّهُ(٢).

و قد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «من السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، و الكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو واحدًا منهم فهو مبتدع رافضي، فحبهم سنة، والدعاء لهم قربة، و الاقتداء بهم وسيلة، و الأخذ بآثارهم فضيلة »(٣).

هذا هدي أهل الحق؛ أتْبَاعِ الكتاب والسنة؛ فإن الله تعالى لما أثنى على أصحاب نبيه من المهاجرين والأنصار في سورة الحشر قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١].

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أَدَّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(٤).

---

(١) المسند (٦/ ٨٤) وحسنه الألباني في تخريجه لأحاديث العقيدة الطحاوية ص(٥٣١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢) وتفسير ابن كثير (٥/ ٦٨٢).

(٣) من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رضي الله عنه ص (٩).

(٤) رواه الخطيب في الكفاية (١/ ٤٩)، وابن راهويه في مسنده (١/ ٢٧).

فأين الرافضة أخزاهم الله من هذه الآيات البينات من كتاب الله تعالى المصرحة برضاه سبحانه عن أصحاب نبيه؟! وأين هم عن هذه الأوامر الظاهرة البينة الموجبة لاتِّبَاعهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟! ويتمحلون زورًا وبهتانًا وافتراءً على الله بغير علم ولا بينة ولا برهان؛ أن القرآن يأمر باتِّبَاع أئمتهم المزعومين، ورتبوا على اتِّبَاعهم من الفضائل والأجور ما لم يرتبوا عشر معشاره على اتِّبَاع كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ولو كان ثمة قدوةٌ يحب اتِّبَاعها سوى ذلك لجاء الشرع ببيانها وإيضاحها، ولكن: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

المبحث الثالث
ثمرات الاتِّبَاع

إن مما جبلت عليه النفوس البشرية اشتداد عزائمها لأداء عملٍ ما؛ إذا ترتب على أدائه ثمرة، وعلى قدر قيمة تلك الثمرة وتعلق نفس المأمور بها تكون قوة العزيمة للامتثال، وهو جانب راعاه الشارع في النفس البشرية؛ فالكثير من التكاليف والأوامر الشرعية رتب الحقُّ سبحانه على أدائها ثمارًا عظيمة؛ وهذا من رحمة الله تعالى بعباده ولطفه بهم يتوددُ إليهم ببشارتهم بالخير جزاءً على صالح أعمالهم وحسن امتثالهم، وما أخفى لهم أكبر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، والمتأمل لآيات القرآن الكريم الآمرة بالاتِّبَاع، يلحظ أنها رتبت ثمارًا عظيمةً عليه، وتتلخص تلك الثمار في اثنتي عشرةَ ثمرةٍ؛ بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول: شهادة الله لأهل الاتِّبَاع بالهداية ورجاحة العقل:

إن الشهادةَ لشخص ما وتزكيتَه تكبر ويعظم الفخر بها على قدر عظم المزكِي، وعلى قدر ما يتبعها من كرامة ونفع؛ فكيف إذا كانت هذه الشهادة والتزكية من مليك مقتدر، وكان مفادها اجتماع الكمال الشرعي والعقلي في المشهود له ؛ الكمال الشرعي بشهادة الله له بالهداية التي تعني اتِّبَاع ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وهي سبب سعادة الدنيا والآخرة، والكمال العقلي بشهادة الله له بأنه هو صاحب العقل الراجح، ولذا قال تعالى كما في سياق آيتي الزمر المتقدمتين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

فوصفهم الله بالرشاد في هدايتهم وديانتهم والرجاحة في عقولهم وفطرتهم، وفي هذا حثٌ وترغيبٌ ضمني كي يتصف الآخرون بصفاتهم التي أوصلتهم إلى هذا

الشرف العظيم، فلا يستوي هؤلاء الذين استنارت بصائرهم باتِّبَاع وحي الكتاب والسنة وأولئك الذين اتبعوا أهوائهم فعميت بصائرهم وتخبطوا في ظلمات الجهل والغي، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فرتب سبحانه هدايةَ الناس كلهم على اتِّبَاع رسوله ﷺ وإلا فإنه الضلال البعيد.

المطلب الثاني: شهادة الله لأهل الاتِّبَاع بالفلاح:

لقد جعل الله سبحانه فلاح الناس كلهم مشروطًا باتِّبَاع نبيه محمدًا ﷺ والسير على منهجه، واتِّبَاع النور الذي أنزله الله عليه؛ وهو: القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] حتى أصحاب الملل السابقة؛ من أدركه ﷺ منهم لا فلاح له إلا بذلك، فالظفر بخيري الدنيا والآخرة، والنجاح من شرهما مرتهن بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وتقدم طرفٌ من الحديث عن الآية(١).

المطلب الثالث: الهدايةُ للسلامة وسبلها:

إن من إكرام الله تعالى ورحمته لمن أحسن من عباده فنَهَلَ من موارد الاتِّبَاع التي بينها سبحانه في كتابه وسنة نبيه محمدٍ ﷺ أن يرزقه السلامة مما يسوؤه ابتداءً وانتهاءً، وما أصابه مما ظاهره السوء فلما يؤول إليه من الترقي في درجات السلامة وسلوك السبل المؤدية إليها، حتى ينتهي به الأمر إلى جوار السلام سبحانه وتعالى، واهب

(١) انظر: ما تقدم ص (١١٧، ١١٨).

السلامة والمتفضل بها على المتبع لهداه والمتلمس لرضاه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ . يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦]، فوصف سبحانه دليل الهداية وسببها القرآنَ العظيمَ؛ بأنه نور يضيئ طريق من اتبعه ويبين له الحق ويجليه، في كل ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه، فمن اتبع رضوان الله واجتهد وحرص على بلوغ مرضاته، وحَسُنَ قصده، واهتدى بهدي القرآن؛ حالفه السداد في جميع أحواله، وسلك سبيل الله الذي شرعه لعباده ودعاهم إليه، وابتعث به رسله، وهو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عملًا إلا به، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية، كما قال السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]، وسار في طرق السلامة ومناهج الاستقامة التي يسلم سالكها من العذاب ويصل إلى دار السلامةِ المنزهةِ عن كل آفةٍ، والمؤَمَّنَةِ من كل مخافة، وهي الجنة[(٢)].

﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: يخرجهم من ظلمات الكفر والبدعة والمعصية، والجهل والغفلة، إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم، والذكر، وهذا أبين طريق وأقوم سبيل[(٣)].

فالسلامة كتبها الله تعالى لمن اتبع هداه، وانتفع بشرعه، كما قال تعالى لِنَبِيَّيْهِ موسى وهارون عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ – عندما أرسلهما إلى فرعون –: ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٦١ ، ١٦٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٧٨ ، ٧٩).

(٣) انظر: تفسير السعدي (١/ ٥٢٤).

المطلب الرابع: الأمن من الضلالة والشقاء:

إن الله تعالى لما أهبط أبانا آدم عليه السلام من الجنة بسبب خطيئته إلى هذه الدنيا دار الابتلاء، رتب سعادته وسعادة ذريته على اتِّبَاع ما أنزله إليهم من هدى، فمن تمسك بذلك الهدى أمن من ضلال الدنيا وشقاء الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وقد رتب الله تعالى على اتِّبَاع هداه أربعة أمور: نفيَ الخوفِ، ونفيَ الحَزَنِ، ونفي الضلال، ونفي الشقاء[(١)]، وأنهم متى جاءهم ذلكم الهدى، المتمثل فيما أرسلَ من رسلٍ وما أنزل من كتب، فإن من اتبع ذلكم الهدى؛ بفعل المأمور وترك المحظور، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراطٍ مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة.

وقد نفي الله عنه الخوف والحزن في آية أخرى، بقوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، واتِّبَاع هدى الله، بتصديق ما أخبر به، وعدم معارضته بشبه، وامتثال ما أمر به وعدم معارضته بشهوة[(٢)].

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من قرأ القرآن واتبع ما فيه، هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]»[(٣)].

وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أجار اللهُ تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية»[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (١/ ٤٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٣/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٦٧، ٤٦٨) برقم (١٠٠٠٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٥).

وأما من أعرض عن القرآن، فلم يؤمن به ولم يتبعه، فإن له المعيشةَ الضيقةَ عند الله تعالى؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤]. (١)

فسبيل الاستقامة على الحق والعدل، والبعد عن الفساد في الكون؛ إنما يكون باتِّبَاع ما أنزل الله تعالى، لا أهواء البشر التي تجرُّ إلى الفساد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون:٧١]، فلو أجاب الله البشر إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾أي: لِفسادِ أهوائهم واختلافها؛ وبهذا يتبين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، وتدبيره لخلقه(٢).

ومن اتبع هواه أرداه، ومن العذاب أدناه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص:٢٦].

المطلب الخامس: الفوز برضوان الله تعالى:

فإنه لا سبيل إلى نيل رضا الله ﷻ إلا بالاتِّبَاع الذي أمر به في كتابه؛ فما رضي الله عن السابقين واللاحقين، وأكرمهم بجنات النعيم إلا بذلك؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن اتبع رضا الله تعالى فبشرى له بكل نعيم، ومن ابتدع فاتبع مساخطه فله

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٣٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٩).

العذاب الأليم، وشتان بين متبع ومبتدع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، فلا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرع، فرضي عنه وأجزل له الثواب وأجاره من العقاب، ومن اتبع سخط الله فاستوجب غضب الله وأليم عقابه، في نار جهنم وبئس المصير.

فالمتبع لأمر الله سيعود برضوانه مهما كانت المشقة في ظاهرها، ونستقي الأمثلة والدروس والعبر من أعظم جيل قاسى المشقة اتِّبَاعًا لأمر الله؛ أصحابِ نبيه رضوان الله عليهم أجمعين لما انتهت معركة أحد وهم مثخنون بالجراح في أبدانهم من القتال، وفي قلوبهم بفقد سبعين من إخوانهم قتلوا ومثل بهم أمامهم، ومع ذلك لما دعاهم النبي ﷺ لملاحقة عدوهم، مع أن الناس قد خوفهم منهم؛ لكن لعلمهم أن الخير كله في اتِّبَاع أمر الله لم يتثاقلوا بل أحسنوا القول والفعل فانقلبوا بحسن العاقبة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ . ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ . فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٢– ١٧٤] .ولما اتبعوا رضوان الله الذي هو وسيلة النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة ، انقلبوا بنعمته، ولما توكلوا على الله كفاهم ما أهمَّهُمْ وَرد عنهم بأسَ من أراد كيدهم.

المطلب السادس: الفوز بولاية الله ونصرته:

فإنما يحظى بولاية الله تعالى ونصره وتوفيقه من أطاعه واتبع شريعته التي سنها لعباده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:١٢٠]، أي: ليست اليهود ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق

فهو السبيل لاجتماعهم وتآلف قلوبهم، وقل لهم: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: ما بعثني الله به من هدى هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل، وفي هذا تكذيب لليهود والنصارى فيما قالوا من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى[١]، ولذا قال قتادة رحمه الله:«هذه خصومةٌ عَلَّمها الله محمدًا ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة»[٢].

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يلي أمرك، وقيم يقوم به،﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصرك من الله، ويدفع عنك عقوبته[٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي هذا تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتِّبَاع طرائق اليهود والنصارى، بعد ما عَلِموا من القرآن والسنة، عياذًا بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول، والأمر لأمته»[٤].

المطلب السابع: الأمن من الفرقة والخلاف:

إن ائتلاف القلوب واجتماع الكلمة واتحاد الصف من أعلى المطالب الذي تسعى كل جماعةٍ -قلَّتْ أو كَثُرَتْ- لتحقيقيه؛ لأنه من أعظم أسباب القوة والنصرة وزرع المهابة في قلوب الأعداء، وأن تنال به تلك الجماعة وضعها اللائق بها، والذي يتناسب مع ما تلبست به من أسبابٍ تُقَوِّيْ الجاذبيةَ واللحمةَ بين أفرادها، أدرك هذا المعنى الشاعرُ [٥] حين خاطب بنيه قائلًا:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٥١٧، ٥١٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٩٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٥١٨).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٥٩١).

(٥) هو: حسين بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد أبو إسماعيل الأصبهاني المعروف بالطُّغْرائِيِّ صاحب لاميّة العجم، والفضائل المشهورة والأشعار السائرة، كان آية في الكتابة والشعر وحسن المعرفة باللغة والأدب، وُلد سنة (٤٥٣هـ)، وقُتِل سنة (٥١٥هـ). انظر: معجم الأدباء: (٣/ ١١٠٦)، ووفيَات الأعيان: (٢/ ١٨٥).

كونوا جميعًا يا بَنِيَّ إذا خطبٌ ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماحُ إذا اجتمعْنَ تكسرًا وإذا افترقْنَ تكسرت أفرادا [1]

ولا يمكن لأمةٍ ما أن تكون مجتمعةً متماسكةً، متحدةَ الصفِّ والكلمةِ، ظاهرًا وباطنًا؛ إلا إذا كانت تصدرُ عن مورود واحد؛ وليس ثمَّ موردٌ يجمع المتفرق ويؤلف المختلف وتتحد عليه القلوب والأبدان إلا هذا الدين الذي يصدر عن وحي الله (الكتاب والسنة)، ولا أدلَّ على ذلك من واقع المجتمع الذي خوطب بهذا الدين أولًا؛ وهم من بعث فيه رسول الله ﷺ؛ فقد كانوا في جاهليةٍ جهلاء؛ فرقةٍ وشتاتٍ وتناحرٍ وعداواتٍ وبغضاءَ وقتالٍ؛ وحالهم كما يقول قائلهم[2]:

وأحيانًا على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا[3]

فلإلفهم واعتيادهم القتال لا يصبرون عنه، حتى إذا أعوزهم الأباعد أغاروا على الأقارب، وماهي إلا سنواتٌ قلائل وإذا بهذا المجتمع الذي ساد فيه قانون الغاب، يتآلف بصورةٍ لا مثيل لها في التاريخ؛ حتى رأينا الواحد منهم يفدي أخاه في الإسلام بنفسه -فضلًا عن أخيه في النسب- لما بينهم من ألفةٍ ومحبةٍ وإخاء؛ نتيجة لتوحيد المورد الذي يصدرون عنه وينهلون منه، ولقد صوَّر القرآن ذلك أبلغ تصوير؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ

(١) البيتان من الكامل، وانظرهما في ديوان الطُّغْرائِيِّ ص (٧١).

(٢) هو: عمير بن شييم بن عمرو بن عباد، من بني جشم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي: شاعر إسلاميّ فحل مقلّ مجيد، وهو من شعراء الغزل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم في صدر الإسلام، توفي نحو (١٣٠هـ)، من شعره البيت المشهور:

قد يدرك المتأني بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزللُ

انظر: الشعر والشعراء: (٢/ ٧١٣)، والأغاني: (١٢/ ٢٠٠).

(٣)البيت من الوافر، وانظره في ديوان القطامي ص (٧٧).

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

فأمر الله عباده المؤمنين بالتمنع من الشتات والفرقة، وتسلط الأعداء، وعذاب الآخرة بالتمسك بدينه الذي أمرهم به، وبما عهده إليهم في كتابه، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، وذكرهم بحالهم قبل ذلك حيث كانوا على شفا حُفْرة من النار بسبب كفرهم، فأبعدهم الله منها بأنْ هَدَاهُم للإيمان؛ سبب القوة والألفة، ونهاهم أن يكونوا كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم أسباب الألفةِ؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وكذا أمر النبي ﷺ بالاجتماع والائتلاف ونهي عن الفرقة والاختلاف ؛ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»(١).

وقد ضَمِنَ الله لهذه الأمة العِصْمةُ من الخطأ، عند اتفاقها، كما جاءت بذلك الأحاديث(٢).

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، (٣/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥).

(٢) ومن ذلك:

أ – ما رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الْفِتَنِ، بَابُ السَّوَادِ الأَعْظَمِ، (٢/ ١٣٠٣) برقم (٣٩٥٠)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٤١) برقم (٨٤) من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِي لاَ تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلاَلَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلاَفًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ**».

قال الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة ص(٣١٨) برقم (٨٥٦): ضعيف جدا – دون الجملة الأولى فهي صحيحة.

٤٦٢٦ – إن أمتي لن تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم.

وذكّرهم الله بما كانوا عليه في الجاهلية شتات وفرقة: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ فصاروا بهذا الدين إخوانًا متحابين في الله، متواصلين فلأجله، متعاونين على البر والتقوى، كما قال تعالى ممتنًّا على نبيه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]، وقد امتن عليهم بذلك رسولُ الله ﷺ يوم أن قَسَم غنائم حُنَيْنٍ، كما في الصحيحين من حديث عَبْدِ الله بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ؛ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟** » كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ(١).

فلا أَمْنَ من الفرقة والشتات إلا بالاعتصام بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، والصدور عن المورد الذي صدر عنه أسلافنا الذين قادوا الدنيا وسادوا الأمم، أما إن حادت الأمة عن ذلك فالشرذمة والتمزق متحتم؛ وليس الخبر كالمعاينة؛ فلا أدلَّ

ب- ما رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٤٧) برقم (١٣٦٢٣) وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٣٩) برقم (٨٠) عن ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«**لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى الضَّلالَةِ أَبَدًا، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٨): رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة. وقال الألباني في تحقيقه على السنة لابن أبي عاصم: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

ج- ما رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٤١) برقم (٨٢) عَنْ كَعْبِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي مِنْ أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ**». وحسنه الألباني بمجموع طرقه في سلسة الصحيحة، (٣/ ٣١٩) برقم (١٣٣١).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غَزْوَةِ الطَّائِفِ، (٨/ ٤٧) برقم (٤٣٣٠)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه (٢/ ٧٣٨)، برقم (١٠٦١).

على ذلك من حال الأمة المسلمة اليوم؛ فلعمر الله إنه الداء الذي قصم ظهرها وأشمت بها حسادها وجرَّ لها النكبات فصارت ألعوبةً ممزقةً في أيدي أعدائها يسومونها سوء العذاب؛ وما ذاك إلا أنهم عددوا مواردهم التي ينهلون منها، فنال كل شعب منها من الذل والهوان بقدر بعده عن الورود على الكتاب والسنة والصدور عنهما، ولا سبيل لأن تستعيدَ الأمة كرامتها المسلوبة وأن تتسنم ذرى المجد كما كانت إلا بأن تسلكَ مسلكَ أسلافها، وتردَ موْرِدَهم، وإلا فالفرقة متحتمة؛ عقوبة من الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآية ومثيلاتها، كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله»[(١)].

وقد جعل الله الشتاتَ والفُرقةَ عقوبةً توعد بها الأمة عند عصيانها وعدم اتِّبَاعها لأمر الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥] ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الرجم، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: الخسف، واختاره الطبري[(٢)]. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي: يجعلكم ملتبسين شيعاً فرقًا متخالفين. قال الوالبي، عن ابن عباس: يعني: الأهواء، وكذا قال مجاهد وغير واحد[(٣)].

وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ أنه قال: «**وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعين فرقةٍ، كلُها في النارِ إلا واحدة**»، وفي لفظ «**وَهِيَ**

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٢).

(٢) انظر: تفسيره (٧/ ٢٢٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٢١).

الجَمَـاعَـةُ»(١).

وقوله: ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: «يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل. وقوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ أي: نبينها لعلهم يتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه»(٢).

وروى البخاري في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ: « **أعوذ بوجهك**». ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**». ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**هذه أهون** أو قال: **هذا أيسر**»(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى مَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَنَاجَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَوِيلًا، قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثَلاثًا: سَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**»(٤).

وقد أخبر الله تعالى عن براءة نبيه ﷺ من الذين فرقوا دينهم، خبرًا يتضمن الأمر،

---

(١) من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: مسند الإمام أحمد (١٤/ ١٢٤)، برقم (٨٣٩٦)، وسنن أبي داوود، كتاب السنة، باب شَرْحِ السُّنَّةِ، (٤/ ١٩٧، ١٩٨)، برقم (٤٥٩٦)، وسنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (٥/ ٢٥)، برقم (٢٦٤٠)، وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، بَابُ افْتِرَاقِ الأُمَمِ، (٢/ ١٣٢١)، برقم (٣٩٩١)، وقال الترمذي حسن صحيح، وكذا قال الألباني رحمه الله في صحيح سن ابن ماجة (٢/ ٣٦٤) برقم (٣٢٢٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح كتاب التفسير، باب: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ الآية [الأنعام: ٦٥] (٨/ ٢٩١) برقم (٤٦٢٨).

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٦) برقم (٢٨٩٠).

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى.... وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نزلت في هذه الأمة.... وقال أبو أمامة: هم الخوارج. والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرْعُهُ واحدٌ لا اختلاف فيه ولا افتراق، فالذين اختلفوا فيه ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ أي: فرقًا كأهل الملل والنحل -وهي الأهواء والضلالات - فالله قد بَرَّأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورى: ١٣]»[(١)].

فهذا هو صراط الله المستقيم الذي أمر باتِّبَاعه، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادةِ الله وحده لا شريك له، والتمسكِ بشريعةِ الرسول الخاتم، وما خالف ذلك فضلالاتٌ وجهالات وآراء وأهواء، الرسل بُرآء منها، كما قال: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[(٢)].

المطلب الثامن: الأمن من الخوف والحزن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[البقرة: ٣٨]، فنفي الله عنهم جنس الخوف؛ سواء فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، أو على ما فاتهم من أمور الدنيا[(٣)]، ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي فيما بين أيديهم من الدنيا، ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما فاتهم منها،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٤٩، ٦٥٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٩).

(٣) انظر: تفسير ابن عاشور (١/ ٤٤٤).

ويحتمل: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: يوم القيامة؛ حيث يدخلهم الجنة فلا خوفٌ ولا حزن هناك[1].

وتقدم طرف من الكلام على هذه الآية[2]، وهي في معنى العهد الذي أخذه الله على آدم فلزم ذريته بأن يتبعوا كلَ هدى يأتيهم من الله، وأنَّ من أعرض عنه فقد استوجب العذاب، ويشمل ذلك جميع الشرائع الإلهية المخاطب بها طوائف الناس لوقوع﴿هُدًى﴾ نكرة في سياق الشرط وهو من صيغ العموم، وأولى الهدى وأجدره بوجوب اتِّبَاعه؛ الهدى العام الذي أتى من الله لسائر البشر، وهو دين الإسلام الذي خوطب به جميعُ بني آدم وأُخذ منهم العهد من لدن آدم عليه السلام على اتِّبَاعه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١].

وجواب الشرط قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ للجري على سَنن العظماء في إيراد عسى ولعل في مواقعِ القطعِ والجزم، والمعنى أن من تبع هدايَ منكم فلا خوفٌ عليهم في الدارين من لُحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوبٍ، أي: لا يعتريهم ما يوجب ذلك، واستشعارُ الخوف والخشيةِ استعظامًا لجلال الله سبحانه وهيبتِه واستصغارًا للجدّ والسعي في إقامة حقوق العبوديةِ من خصائص الخواصِّ والمقرّبين، فأثابهم الله تعالى في الآخرة بدوام انتفائهما عمن حققهما لله تعالى في هذه الدنيا، ومجيءُ الهدى مضافًا إلى ضمير الجلالةِ لتعظيمِه وتأكيدِ وجوب اتِّبَاعه[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية (١/ ١٣١، ١٣٢).

(٢) انظر: ما تقدم ص (١٠٨، ١٠٩).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (١/ ٩٣).

المطلب التاسع: السلامة من الابتداع:

إن مبنى العبادة المتقبلة عند الله تعالى على الاتِّبَاع لما شرع في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، ومن ورد نهر الشريعة وارتوى من زلالها صدر عن المنهل الصافي والرَّسِّ الشافي، ولقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تأمر بالاتِّبَاع وتحذر من الابتداع تقدم ذكر بعضها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، الضمير في قوله: ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ راجع إلى الرسول ﷺ، أو إلى الله ﷻ، والمعنى واحد؛ لأن مخالفة كلٍ منهما تستلزم مخالفةَ الآخر؛ فإن الآمرَ حقيقةً هو الله ﷻ، والرسول ﷺ مبلغ عنه، فالآية تهديد للذين يتعمدون مخالفة أمر الله أو أمر رسوله ﷺ، وهو شريعته وسبيله ومنهاجه وسنته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مَرْدُود على قائله وفاعله، كائنًا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليهِ أمْرُنا فهو رَدٌّ**»(١)، فعلى أولئك أن يحذروا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، تزيد في ضلالهم بسبب مخالفتهم؛ من كفر أو نفاق أو بدعة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] ،﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا، بقتلٍ، أو حَدٍ، أو حبسٍ، أو نحو ذلك(٢).

إذًا فالسلامة من الابتداع إنما جعلها الله لأهل السنة والاتِّبَاع؛ الذين اقتفوا أثر الكتاب والسنة، فإن الله تعالى قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]، فالإيمان مشروط بالرد إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ وذلك بأن نحكم الكتاب والسنة، ونتحاكم إليهما فيما يقع بيننا من نزعاتٍ واختلافاتٍ،

---

(١) متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها . انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصلح، باب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، (٥/ ٣٠١) برقم (٢٦٩٧) وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (٣/ ١١٣٤٣) برقم (١٧١٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥٧٤) وأضواء البيان (٦/ ٢٨٢، ٢٨٣).

فالعبادة مبناها على التوقيف والاتِّبَاع لا على الهوى والابتداع، وهذا مسلك أهل الحق، أهل السنة والجماعة؛ اتِّبَاع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا واتِّبَاع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؛ عملًا بقول النبي ﷺ : فيما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظةً بليغة، ذرفتْ منها العيونُ، ووجلتْ منها القلوبُ؛ فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، كأنها موعظةُ مُودِّعٍ، فماذا تعهدُ إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعَةِ وإن كان عبدًا حبشيًّا؛ فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلَ محدثةٍ بدعة، وكلَ بدعةٍ ضلالة**»(١).

إن محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ منوطة بالاتِّبَاع لا الابتداع؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلا يسلم من الابتداع إلا أهل الاتِّبَاع، وهم المطيعون لله ورسوله الآخذون بالمأمور والمنتهون عن المحظور، لا المعرضون عن أمر الله وأمر رسوله المتوعدون بشديد عقابه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

المطلب العاشر: السلامة من اتِّبَاع الهوى:

إنَّ الإنسانَ مقلدٌ متبعٌ بطبعه؛ فإما أن يتبع الهدى فيرقى أو يتبع الهوى فيردى، فالنجاة والفوز في اتِّبَاع شريعة الله التي جاء بها رسوله ﷺ وسار عليها سلف هذه

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة (٤/ ٢٠٢، ٢٠٣) برقم (٤٦١٢)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥/ ٤٩) برقم (٢٦٧٦)،وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (١/ ١٥ ، ١٦) برقم (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٤١ ، ٣٤٢) برقم (٢١٥٧).

الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقد امتثل ﷺ فاتبع ما شرع الله له واستقام عليه ودعا إليه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥]، ومن أعرض عن الاستجابة لدعوته ﷺ فإنما أضله وصرفه عن ذلك هواه، ولا أضلَّ ممن هذه حاله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، فمن لم يتبع تلك الشريعة فينهل من موردها العذب اتبع الأهواء المتفرقة وكرع في موارد الرنق والكدر. وكما أن قدوتنا وأسوتنا ﷺ امتثل أمر ربه باتِّبَاع ما شرع، فإنه كذلك اتبع أمره بالإعراض عن أهواء المشركين؛ حتى شهد له ربه بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٦]، فإن كان هذا الضلال متحققًا لرسول الله ﷺ لو اتبع أهوائهم -وحاشاه ﷺ- فتحققه لغيره من باب أولى وأحرى، وقد رتب الله على ذلك من الوعيد ما يدل على عظيم خطره وبالغ ضرره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتِّبَاع طرائق اليهود والنصارى، بعد ما عَلِموا من القرآن والسنة، عياذًا بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول ﷺ، والأمر لأمته»(١)، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٠] أي: يشركون به، ويجعلون له عديلًا. فالسلامة من اتِّبَاع الهوى والوقوع في الردى إنما تكون باتِّبَاع الهدى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٦].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٩٠، ٥٩١).

المطلب الحادي عشر: دعاء الملائكة لهم:

إن مما يستأنسُ به في حسن سير العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، وعاجل بشراه في هذه الحياة الدنيا، أن يكون له حظٌ ونصيبٌ من دعاء الصالحين والأخيار، وكل عبد مسلم إذا رأى من إخوانه المؤمنين من يظن به الخير والصلاح فإنه يحاول أن يفوز منه بدعوة صالحة لعل اللهَ يستجيبُ له؛ فكيف إذا كان هؤلاء الأخيار من أهل الملأِ الأعلى الملائكة المقربين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؟ لا شك أن الأنس بدعائهم يزداد، وعاجل البشرى تقوى.

قال مطرف رَحِمَهُ اللَّهُ : «أنصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين»(١).

وإن من سنة القرآن الكثيرة الورود فيه، ترتيبَ دعاء الملائكة على الكثير من أعمال البر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ . وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧- ٩].

فهذه الآيات مَسوقٌ لتسليةِ رسولِ الله ﷺ ببيانِ أنَّ أشرافَ الملائكةِ عليهمُ السلامُ مثابرونَ عَلَى ولايةِ مَنْ معه منَ المُؤمنينَ ونُصْرتِهم واستدعاءِ مَا يُسعِدُهم في الدارينِ. ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فالمشاركةُ في الإيمانِ أقْوَى المناسباتِ وأتمُّها وأدعى الدَّواعِي إلى النصحِ والشفقةِ، وفي نظمِ استغفارهم لهم في سلكِ وظائِفهم المفروضةِ عليهم؛ منْ تسبيحهم وتحميدِهم وإيمانهم إيذانٌ بكمالِ اعتنائِهم بهِ وإشعارٌ بوقوعِهِ عندَ الله تعالى مَوقعَ القَبولِ. ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ أيْ

(١) انظر: تفسير السراج المنير (٣/ ٣٧٨).

وَسِعتْ رحمتُكَ وعلمُكَ كل شيء.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أيْ صلاحًا مصحَّحًا لدخولِ الجنةِ في الجملةِ وإنْ كانَ دونَ صلاحِ أصولِهم، أيْ: وأدخل قراباتهم معهم ليتم سرورهم ويتضاعفُ ابتهاجُهم وقد وعد الله بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، قال ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فِي هَذِهِ الآيَةِ : «إِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرْفَعُ لِلْمُؤْمِنِ ذُرِّيَّتَهُ ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ ، لِيُقِرَّ اللهُّ بِهِمْ عَيْنَهُ»(١).

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الغالبُ الذَّي لا يمتنعُ عليه مَقْدورٌ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ أي الذي لا يفعلُ إلاَّ ما تقتضيهِ الحكمةُ الباهرةُ من وضع الأمورِ في محالها، والتي منْ جُمْلتها إنجازُ الوعدِ، فالجملةُ تعليلٌ لما قَبْلها، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: الوقوع فيها؛ حتى لا يتعرضوا للعقوباتِ؛ لأَنَّ جزاءَ السيئةِ سيئةٌ مثلُهَا، ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذِي لاَ مطمعَ وَرَاءَهُ(٢)، فاشتمل دعاء الملائكة على خيرٍ عظيم؛ طلبِ الغفران للتائبين من الشرك والمعاصي، الذين اتبعوا صراط الله وسبيله وهو دين الإسلام، وطلب الوقاية لهم من عذاب جهنم، وطلب إدخالهم جنات عدن التي وعدهم، بل وإكمال أنسهم وفرحتهم بإدخال أقاربهم معهم أيضًا؛ من الآباء والأزواج والذريات، وأن يقيهم السيئات وما يترتب عليها من عقوبات، وهذا يعني أن يرحمهم اللهّ بدخول الجنة، وتلك هي النجاة الكبيرة.

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « **الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ؛ تَقُولُ اللَّهُمَّ**

(١) رواه الطبري في تفسير (٢٧/ ٢٤)، وهناد في الزهد (١/ ١٣٦) برقم (١٧٩). وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢/ ٦٣٥): "وهذا إسناد صحيح موقوف".

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٧/ ٢٦٨).

اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»[1].

وفي لفظ للبخاري: « **صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ** »[2]. قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرحه لهذا الحديث- : «فمن كان كثير الذنوب وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابته لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقد أخبر عليه السلام أنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه[3]، وتأمين الملائكة إنما هو مرة واحدة عند تأمين الإمام، ودعاؤهم لمن قعد في مصلاه دائمًا أبدًا ما دام قاعدًا فيه، فهو أحرى بالإجابة ... فعلى كل مؤمن عاقل سمع هذه الفضائل الشريفة أن يحرص على الأخذ بأوفر الحظ منها وألا تمرَّ عنه صفحًا»[4].

---

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، (١/ ٥٣٨)، برقم (٤٤٥)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، (١/ ٤٥٨) برقم (٦٤٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب صلاة الجماعة والإمامة، باب فَضْلِ صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ، (٢/ ١٣١)، برقم (٦٤٧).

(٣) لما في الصحيحين من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « **إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** ». انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب جَهْرِ الإِمَامِ بِالتَّأْمِينِ (٢/ ٢٦٢) برقم (٧٨٠)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين (١/ ٣٠٧) برقم (٤١٠).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري (٢/ ٩٥).

المطلب الثاني عشر: بشارتهم بالمغفرة والجنة:

إن من أعظم ثمار الاتباع طمأنة أصحابه على مستقبلهم؛ وهم عباد الله المنتفعون بإنذار نبيهم ﷺ والمتبعون للكتاب الذي جاء به، والذين يخشون الله حيث لا يراهم سواه، لعلمهم أنه مطلع عليهم، وعالم بما يفعلون، ومجازيهم عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ [يس:١١]، فثمرة ذلك ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ﴾ أي: لذنوبه ﴿وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ أي: كبير واسع حسن جميل، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ [الملك: ١٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨]. لما ذكر الله حال المجرمين قبل هذه الآية؛ عقَّبَ بذكر حال المنيبين إليه وثوابهم، فأثنى الله عليهم باجتنابهم عبادة الطواغيت، وإخلاص العبادة لله وحده، فحصلت ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ التي لا يعلمُ قدرها إلا من أكرمهم بها، وهي بشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من اللهّ، التي تشعرهم بإكرام الله لهم، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي عرصات القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في جنة الخلد(١).

ولتأكيد هذه البشرى، أمر نبيه ﷺ أن يبشرهم بها، ذاكرًا الوصف الذي استحقوا به تلك البشارة فقال: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ أي: يفهمونه ويعملون بأحسنه وهو أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل

(١) انظر: تفسير السعدي (٤/ ٣٢٩، ٣٣٠).

بطاعته، وهو كلام اللهّ وكلام رسوله ﷺ. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به. وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن. وقيل: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ أي محكمه فيعملون به[1]. ولذا قال سبحانه في سياق هذه الآيات: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣] الآية. وهذا بيان لأحسن القول الذي يتبعه هؤلاء الممدوحون.

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٩).

الخاتمة

الحمد لله على سابغ فضله ووافر إحسانه الذي أعجزُ عن شكره عليه، ومن جملته ما أنعم به علي من إكمال هذا البحث، الذي أحسب أني سلطت الضوء فيه على موارد الاتِّبَاع في القرآن الكريم والتي أمر الله تعالى بأن نَرِدَها ونَنَهَلَ منها، سواءٌ ما كان منها في المنهج والطريقة التي يسلكها العبد في سيره إلى الله تعالى؛ إذ لابد من ذلك وإلا حصل الخطأ والزلل إذ لا نجاة إلا في المنهج الذي أمر الله بالسير عليه وقد بينه الله في كتابه أوضحَ بيانٍ وأحسنَه؛ لذا تعددت الأساليب القرآنية التي جلَّت هذا المنهج ووضحته وبينته؛ ليتأتى للعباد تَبَيُّنُ المنهج وتفهُّمُه على اختلاف مداركهم وقدراتهم؛ فمن بعُد عليه هذا الأسلوب قرُب منه ذاك.

وكذا سلطت الضوء في هذا البحث على القدوة والأسوة المحفزة التي يتأسى بها العبد في سيره إلى الله على ذلكم المنهج، وألا يستوحش الطريق لقلة السالكين؛ فإن مما يوطن النفوسَ على اتباع المنهج الحق والرضا به؛ وجودَ قدواتٍ عمليَّةٍ تَجَسَّدَ فيهم ذلكم المنهجُ؛ فنَبُلتْ أخلاقُهم، وسمت معاملتهم، وارتقت نفوسهم، وصفت سرائرهم، حتى أسروا قلوب الناس، وشهد لهم المنصفون منهم بما هم عليه من سموٍ ورقيٍ ونبلٍ في التعامل والأخلاق، وقد جعل الله تلك القدوات من جنس البشر؛ حتى لا يستحيلَ في العقول الاتصافُ بأوصافهم، وقبولُ ما دعوا إليه من منهجٍ وسلوك.

ثم ختمت البحث بذكر عددٍ من الفوائد التي يجنيها العبد إذا صحَّ مورده في المنهج والسلوك.

وقد تبين لي من خلال هذا البحث الثمار والفوائد التالية:

١- أنَّ موارد الاتِّبَاع ومناهل التشريع التي أمرنا الله تعالى في كتابه أن ننهل منها ونتبع أمره فيها في السير إليه، تنحصر في المنهج في الأمر باتِّبَاع الكتاب والسنة، وعلى

وفق فهم السلف الصالح؛ من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، وتنحصر في القدوة والأسوة إما في نبيٌ مصطفى أو صحابيٌ مجتبى أو وليٌ ذو تقى؛ فإما سبيل المرسلين أو سبيل المؤمنين.

٢- أنه لا سبيل لاجتماع كلمة المسلمين، وقوة شوكتهم وتوحيد صفهم إلا باتِّبَاع ذلك المنهج والتأسي بتلك القدوة، وهو الأمر الذي يسدُّ سُبُلِ الشياطين التي تؤول بسالكيها - في هذه الدنيا - إلى الفرقة والتناحر والشقاق، وفي الآخرة إلى نارٍ عذابها لا يطاق، عياذًا بالله من الشقاق والنفاق.

٣- أنَّ الاتِّبَاع الحقيقي الذي أمر الله تبارك وتعالى به هو: ما كان مبناه على الكتاب والسنة وعلى منهج سلف الأمة، وما سواه فاتِّبَاع مزيف مدعى، إنما يَرِدُ موارد الطائفية والهوى، ولا دليل عليه من كتاب أوسنة أو عملِ أهل تقى.

٤- عظيم الثمار التي يجنيها من ورد تلك الموارد التي بينها القرآن الكريم، وعظيم الغبن والخسارة لمن ورد غيرها.

وأدعوك ربي متضرعًا إليك وسائلًا لي ولقارئه ولسائر المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات :

إِلهِي سَأَلْتُكَ وِرْدًا يَؤُول ... وَيُفْضِي إِلى مَنْهَجَ الْمُتَقِيْن
وَنَهْلاً مِنْ المَوْرِدِ الْمُبْتَغَى: ... هُدَى الْمُصْطَفَى وَالْكِتَابِ الْمُبِيْن
وَفَيْضَاً عَلَى الْرُوحِ بَعْدَ الْوُرُود ... يُجَنِّبُهُ مَسْلَكَ الزَّائِغِيْن
وَصَدْرَاً إِذَا مَا وَرَدْنَا يَعُوْد ... عَلَى الْقَلْبِ مِنَّا بِبَرْدِ الْيَقِيْن
وَثَبِّتْ إِلَهِيْ الْقُوَى وَالْجَنَان ... عَلَى الْمُوْرِدِ الحَقِ أَلاَّ تَلِيْن
لِنَحْظَى بقُرْبِ الْمَلِيكِ الْقَدِير ... بِمَقْعَدِ صِدْقٍ مَعَ الْمُرْسَلِيْن

والله أسال قبول هذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم نافعًا لعباده إنه خير مسئول وأكرم مأمول.

وصلى اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

د. فايز بن حبيب الترجمي

فهرس المصادر والمراجع

١. **إثبات عذاب القبر للبيهقي**؛ أبي بكر أحمد بن الحسين، تحقيق: د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان، عمان، الأردن ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ترتيب علاء الدين بن علي بن بلبان الفارسي، حققه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، للقاضي الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ العلامة؛ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٥. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤٠٧.

٦. **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عزير شمس، بإشراف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد-مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ

٧. **الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني**، تحقيق: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

٨. **التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية** للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي ، مكتبة الحرمين الرياض ، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ .

٩. **التذكرة الحمدونية**. لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، تحقق: إحسان عباس وبكر عباس، نشر: دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

١٠. **تفسير البغوي**. لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي،، تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك، ومروان سوار،، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

١١. **تفسير التحرير والتنوير**:للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار السلفية للنشر، تونس،١٩٨٤م.

١٢. **تفسير السراج المنير**، لمحمد بن أحمد الشربيني، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٣. **تفسير القرآن العظيم**. للحفظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق د.حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط الأولى، ١٤٣١هـ.

١٤. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**،- ضمن موسوعة شروح الموطأ- لأبي عمر يوسف ابن عبد البر القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٦هـ.

١٥. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الأوس بالمدينة، دار الصفا، الزقازيق.

١٦. **التيسير في القراءات السبع**. لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٤هـ.
١٧. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مكتبة مصطفى البابي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.
١٨. **جامع المسائل**، لتقي الدين أبي العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط١ ، ١٤٢٢هـ.
١٩. **الجامع لأحكام القرآن**. لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٠. **الحكومة الإسلامية للخميني** – أخزاه الله – الطبعة الثالثة.
٢١. **ديوان الطَّغْرائيّ**، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، الطبعة الاولى، سنة ١٣٠٠هـ.
٢٢. **ديوان القطامي**، تحقيق: إبراهيم السامرّائي، وأحمد مطلوب. دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
٢٣. **ذم الكلام وأهله**، لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري، حققه : أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، نشر : مكتبة الغرباء.
٢٤. **زاد المسير في علم التفسير**. لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٥. **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة ١٤١٥هـ.
٢٦. **سنن ابن ماجه**. للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
٢٧. **سنن أبي داوود**. للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية استانبول، تركيا.
٢٨. **سنن الترمذي**. لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٩. **سنن الدارمي**، المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي، الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد. دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ ، ١٤٠٧ ،
٣٠. **السنن الكبرى**، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: حسن عبد المُنعم حسن شلبي، تقديم الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
٣١. **شرح العقيدة الطحاوية**، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (المتوفى : ٧٩٢هـ)، الناشر : المكتب الإسلامي –بيروت، تحقيق: جماعة من العلماء، وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة : الخامسة –١٣٩٩هـ.

٣٢. **شرح صحيح البخاري**. لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ط٢، تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم.
٣٣. **الشعر والشعراء لابن قُتيبة**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
٣٤. **صحيح البخاري مع الفتح**. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.
٣٥. **صحيح الترغيب والترهيب**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف الرياض، الطبعة: الخامسة.
٣٦. **صحيح سنن ابن ماجة**. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط الثانية، ١٤٠٨هـ.
٣٧. **صحيح سنن أبي داود**. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط الأولى، ١٤٠٩هـ.
٣٨. **صحيح سنن الترمذي**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
٣٩. **صحيح مسلم**. للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠. **ضعيف سنن ابن ماجه**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بإشراف زهير الشاويش، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
٤١. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. لمحمد بن على الشوكاني، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط الأولى ١٤١٥هـ.
٤٢. **الفرقانُ بينَ أولياءِ الرَّحمَنِ وأولياءِ الشَّيْطانِ**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه وعلق عليه : علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة.
٤٣. **كتاب الزهد** للإمام هناد بن السري الكوفي ت (٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى-١٤٠٦هـ.
٤٤. **كتاب السنة**، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠.
٤٥. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، اعتنى بتحقيقه وطبعه ونشره: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٤٦. **الكفاية في علم الرواية**، لأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي،تحقيق : أبي عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني. المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٤٧. **لسان العرب**.لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط الأولى،١٤١٠هـ.

٤٨. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ نور الدين بن علي أبو بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين، العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.

٤٩. **مجموع الفتاوى**. لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ.

٥٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

٥١. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤٠٨هـ.

٥٢. **المستدرك على الصحيحين**، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٣. **مسند ابن راهويه**، لإسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنطلي المروزي، تحقيق وتخريج ودراسة: الدكتور عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوشي، الناشر: مكتبة الايمان المدينة المنورة.

٥٤. **مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله**، تحقيق جماعة من العلماء، إشراف الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٥. **معجم الأدباء** للحمويّ، تحقيق: إحسان عبّاس، دار العرب الإسلاميّ، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٥٦. **المعجم الكبير** للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ط٢.

٥٧. **مفردات ألفاظ القرآن**، للعلامة الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوود. دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٥٨. **من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رضي الله عنه**، بقلم : عبد المحسن بن حمد العباد البدر.

٥٩. **النشر في القراءات العشر**، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، تحقيق د. محمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة.

٦٠. **وفيَات الأعيان وأنباء بأبناء الزَّمان**، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٨١
المقدمة	٨٢
المبحث الأول: موارد الاتِّبَاع في المنهج	٨٩
المطلب الأول: اتِّبَاع ما أنزل الله	٨٩
المطلب الثاني: اتِّبَاع الحق	٩١
المطلب الثالث: اتِّبَاع القرآن الكريم	٩٧
المطلب الرابع: اتِّبَاع الوحي	١٠٢
المطلب الخامس: اتِّبَاع صراط الله المستقيم	١٠٥
المطلب السادس: اتِّبَاع هدى الله	١٠٧
المطلب السابع: اتِّبَاع رضوان الله	١٠٩
المبحث الثاني: موارد الاتِّبَاع في القدوة	١١١
المطلب الأول: اتِّبَاع الأنبياء والمرسلين	١١٢
المطلب الثاني: اتِّبَاع الرسول ﷺ	١١٦
المطلب الثالث: اتِّبَاع ملة إبراهيم عليه السلام	١٢٠
المطلب الرابع: اتِّبَاع المهاجرين والأنصار	١٢٤
المبحث الثالث: ثمرات الاتِّبَاع	١٢٩
المطلب الأول: شهادة الله لأهل الاتِّبَاع بالهداية ورجاحة العقل	١٢٩
المطلب الثاني: شهادة الله لأهل الاتِّبَاع بالفلاح	١٣٠
المطلب الثالث: الهداية للسلامة وسبلها	١٣٠
المطلب الرابع: الأمن من الضلالة والشقاء	١٣٢
المطلب الخامس: الفوز برضوان الله تعالى	١٣٣
المطلب السادس: الفوز بولاية الله ونصرته	١٣٤
المطلب السابع: الأمن من الفرقة والخلاف	١٣٥
المطلب الثامن: الأمن من الخوف والحزن	١٤١
المطلب التاسع: السلامة من الابتداع	١٤٣
المطلب العاشر: السلامة من اتِّبَاع الهوى	١٤٤
المطلب الحادي عشر: دعاء الملائكة لهم	١٤٦
المطلب الثاني عشر: بشارتهم بالمغفرة والجنة	١٤٩
الخاتمة	١٥١
فهرس المصادر والمراجع	١٥٤
فهرس الموضوعات	١٥٨